شرح السعد

المسمى مختصر المعاني

في علوم البلاغة

تأليف

خاتمة المحققين سعود بن عمر بن عبد الله

سعد الدين التفتازاني

المتوفى بسمرقند في سنة ٧٩١ هـ

الجزء الرابع

حققه، وهذبه، وفصله

وأضاف إليه تطبيقات وتمرينات توضح مباحثه

فضيلة الأستاذ العلامة

محمد محيي الدين عبد الحميد

اعتنى به

د. صالح راضي الشمري

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

شرح السعد

المسمى مختصر المعاني

في علوم البلاغة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩ م

© فهرسة دار الظاهرية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع ٢٠١٨م

شرح السعد المسمى «مختصر المعاني في علم البلاغة»
التفتازاني، سعدالدين (مؤلف)
محمد محيي الدين عبدالحميد (محقق)
صالح راضي الشمري (محقق)
١٩٠ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: 978-99966-1-845-1 (ج٤)
رقم الإيداع: 1077-2017
لغة عربية - علوم البلاغة



الكويت - مدينة سعد العبدالله - الدائري السادس - ق3 - م28
Website : www .daradahriah .com
E-mail : daradahriah@gmail .com
(+965) 99627333 - (+965) 51155398 - (+966) 559221028

هذه الطبعة بإذن خاص من دار الطلائع للنشر والتوزيع - القاهرة

الموزعون المعتمدون

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 4925192

أروقة للدراسات والنشر
(عمّان)
info@arwiqa.net
(+962) 64646163

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على إمام المتقين، وعلى آله وصحبه أعلام اليقين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

علم البيان

تعريف علم البيان:

وهو علم، أي: ملكة يقتدر بها على إدراكات جزئية، أو: أصولٌ وقواعدُ معلومة، يعرف به إيراد المعنى الواحد، أي: المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال، بطرق وتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على ذلك المعنى، وذلك بأن تكون بعض الطرق واضحة الدلالة عليه، وبعضها أوضح، والواضح خفي بالنسبة إلى الأوضح، فلا حاجة إلى ذكر الخفاء.

وتقييد الاختلاف بالوضوح ليخرج معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة.

واللام في «المعنى الواحد» للاستغراق العرفي: أي كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته، فلو عرف واحدٌ إيرادَ معنى قولنا: (زيد جواد) بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالماً بالبيان.

معنى الدلالة، وأقسامها:

ثم لما لم تكن كلُّ دلالة قابلةً للوضوح والخفاء وَجَبَ أن نشير إلى تقسيم الدلالة، ونعيِّن ما هو المقصود ههنا، فنقول:

الدلالة هي: «كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر». والأول الدال، والثاني المدلول.

ثم الدال إن كان لفظاً فالدلالة لفظية، وإن لم يكن الدال لفظاً فالدلالة غير لفظية: كدلالة الخطوط، والعقود، والنُّصب، والإشارات.

ثم **الدلالة اللفظية** إما أن يكون للوضع مدخل فيها أو لا، فالأولى - وهي

الدلالة اللفظية التي للوضع مدخل فيها - هي المقصودة بالنظر ههنا، وهي: «كون اللفظ بحيث يُفْهَم ُمنه المعنى عند الإطلاق، بالنسبة إلى العالم بوضعه».

وهذه الدلالة على **ثلاثة أنواع**؛ لأن اللفظ إما أن يدل على تمام ما وضع له، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق؛ وإما أن يدل على جزء ما وضع له، كدلالة الإنسان على الحيوان وحده، أو الناطق وحده؛ وإما أن يدل على خارج عنه، كدلالة الإنسان على الضاحك.

وتسمى الأولى -أي: الدلالة على تمام ما وضع له- **وضعية**؛ لأن الواضع إنما وَضَعَ اللفظ لتمام المعنى، ويسمى كل من الأخيرتين -أي: الدلالة على الجزء، وعلى الخارج- **عقلية**؛ لأن دلالة اللفظ على كل من الجزء والخارج إنما هي من جهة حُكْم العقل بأن حصول الكل أو الملزوم يستلزم حصول الجزء أو اللازم.

والمنطقيون يسمُّون الثلاثة وضعية باعتبار أن للوضع مَدْخلا فيها، ويَخُصُّون العقلية بما يقابل الوضعية والطبيعية كدلالة الدُّخَان على النار. وتسمى الأولى من الدلالات الثلاث بالمطابقة، لتطابق اللفظ والمعنى الموضوع له، والثانية بالتضمن؛ لكون الجزء في ضمن المعنى الموضوع له، والثالثة بالالتزام؛ لكَوْن الخارج لازماً للموضوع له.

فإن قيل: إذا فرضنا لفظاً مشتركاً بين الكُلِّ وجُزْئه ولازمه -كلفظ الشمس المشترك مثلاً بين الجرم والشعاع ومجموعهما- فإذا أطلق على المجموع مطابقة، واعتبر دلالته على الجرم تضمُّناً والشعاع التزاماً، فقد صدق على هذا التضمن والالتزام أنها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له، وإذا أطلق على الجرم أو الشعاع مطابقة صدق عليها أنها دلالة اللفظ على جزء الموضوع له أو لازمه، وحينئذ ينتقض تعريف كلٍّ من الدلالات الثلاث بالأخريين!.

فالجواب أن قيد الحيثية مأخوذ في تعريف الأمور التي تختلف باعتبار الإضافات، حتى إن المطابقة هي: الدلالة على تمام ما وضع له، من حيث إنه تمام الموضوع له. والتضمن: الدلالة على جزء ما وضع له، من حيث إنه جزء ما وضع له. والالتزام: الدلالة على لازمه، من حيث إنه لازم ما وضع له، وكثيراً ما يتركون هذا القيد اعتماداً على شهرة ذلك، وانسياق الذهن إليه.

وشرط الالتزام: اللزومُ الذهنيُّ، أي كون المعنى الخارجي بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصولُه فيه: إما على الفَور، أو بعد التأمل في القرائن والأمارات، وليس المراد باللزوم عدم انفكاكِ تعقّل المدلول الالتزامي عن تعقّل المسمى في الذهن أصلاً، أعني اللزوم البيّنَ المعتبر عند المنطقيين، وإلا لخرج كثير من معاني المجازات والكنايات عن أن يكون مدلولاتٍ التزاميةً، ولما تأتّى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام أيضاً.

وتقييدُ اللازم بالذهني إشارة إلى أنه لا يشترط اللزوم الخارجي؛ كالعَمَى، فإنه يدل على البصر التزاماً؛ لأنه عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً مع التنافي بينهما في الخارج.

ومَنْ نازع في اشتراط اللزوم الذهني فكأنه أراد باللزوم: اللزومَ البيّن، بمعنى عدم انفكاك تعقُّله عن تعقل المسمّى.

وليس المراد باللزوم الذهني هنا اللزوم البيّن المعتبر عند المنطقيين، بل المراد اللزوم الذهني ولو كان ذلك اللزوم مما يُثبته اعتقادُ المخاطب بسبب عرفٍ عام[1]، وهو ما لم يتعينّ فيه الناقل، أو بسبب عرف خاص، كالشرع واصطلاحات أرباب الصناعات وغير ذلك.

---

(١) مثال العرف العام: استعمال الأسد في الجريء والشجاع، فإن اللزوم بين الأسد والجراءة مما عُرف بين جمهور الناس، ومثال العرف الخاص: قول أهل الشرع: «هذا الماء قد بلغ قلتين»، فإن هذه العبارة تستلزم في عرفهم أنه لا يتنجس بملاقاة النجاسة.

الدلالة التي تتأتى بها قاعدة علم البيان:

والإيراد المذكور -أي: إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح- لا يتأتّى بالوضعية، أي بالدلالات المطابقة؛ لأن السامع إن كان عالماً بوضع الألفاظ لذلك المعنى لم يكن بعضُها أوضَحَ دلالة عليه من بعض، وإن لم يكن عالماً بوضع الألفاظ لم يكن كل واحد من الألفاظ دالاً عليه، لتوقف الفهم على العلم بالوضع، مثلاً: إذا قلنا (خَدُّهُ يُشْبه الورْدَ) فالسامع إن كان عالماً بوضع المفردات والهيئة التركيبية امتنع أن يكون كلام آخر يؤدِّي هذا المعنى بطريق المطابقة أوضح دلالة أو أخفى؛ لأنه إذا أقيم مقام كل لفظ ما يُرَادِفه، فالسامع إن علم الوضع فلا تفاوت في الفهم، وإلا لم يتحقق الفهم.

وإنما قلنا: «لم يكن كل واحد»؛ لأن قولنا: «هو عالم بوضع الألفاظ» معناه أنه عالم بوضع كل لفظ، فنقيضه المشار إليه بقولنا: «وإن لم يكن عالماً بوضع الألفاظ» يكون سلباً جزئياً، أي إن لم يكن عالما بوضع كل لفظ، فيكون اللازم عدم دلالة كل لفظ، ويحتمل أن يكون البعض منها دالاً، لاحتمال أن يكون عالماً بوضع بعضها.

ولقائل أن يقول: لا نُسَلِّم عدم التفاوت في الفهم على تقدير العلم بالوضع، بل يجوز أن يحضر في العقل معاني بعض الألفاظ المخزونة في الخيال بأدنى التفات، لكثرة الممارسة والمؤانسة وقُرْب العهد بها، بخلاف بعضها الآخر؛ فإنه يحتاج إلى التفات أكثر ومُراجعة أطول، مع كون الألفاظ مترادفة والسامع عالماً بالوضع، وهذا مما نجده من أنفسنا.

والجواب: أن التوقف إنما هو من جهة تذكّر الوضع، وبعد تحقّق العلم بالوضع وحصوله بالفعل، فالفهم ضروري.

ويتأتى الإيراد المذكور بالعقلية من الدلالات؛ لجواز أن تختلف مراتب اللزوم في الوضوح، أي: مراتب لزوم الأجزاء للكل في التضمن، ومراتب لزوم اللوازم للملزوم في الالتزام؛ وهذا في الالتزام ظاهر، فإنه يجوز أن يكون للشيء لوازم متعددة بعضُها أقربُ إليه من بعض، وأسرع انتقالاً منه إليه؛ لقلة الوسائط، فيمكن تأدية الملزوم بالألفاظ الموضوعة لهذه اللوازم المختلفة الدلالة عليه وضوحاً وخفاء، وكذا يجوز أن يكون للازم ملزوماتٌ لزومُهُ لبعضِها أوضح من لزومه لبعضها الآخر، فيمكن تأدية اللازم بالألفاظ الموضوعة للملزومات المختلفة وضوحاً وخفاء، وأما في التضمّن فلأنه يجوز أن يكون المعنى جزءاً من شيء، وجزءاً لجزء من شيء آخر، فدلالَةُ الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضحُ من دلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء من جزئه، مثلاً: دلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالة الإنسان عليه، ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه.

فإن قلت: بل الأمر بالعكس، فإن فهم الجزء سابق على فهم الكل.

قلت: نعم، ولكن المراد هنا: انتقال الذهن إلى الجزء، وملاحظته بعد فهم الكل، وكثيراً ما يفهم الكل من غير التفات إلى الجزء، كما ذكر الشيخ الرئيس في «الشفاء» أنه يجوز أن يخطر النوع بالبال، ولا يلتفت الذهن إلى الجنس.

اللفظ المراد به اللازم مجازٌ أو كناية:

ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له -سواء كان اللازم داخلاً فيه كما في التضمّن، أو خارجاً عنه كما في الالتزام- إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فمجازٌ، وإلا فكنايةٌ؛ فعند «الخطيب» أن الانتقال في المجاز والكناية كليهما

من الملزوم إلى اللازم، إذ لا دلالة للازم -من حيث إنه لازم- على الملزوم، إلا أن إرادة المعنى الموضوع له جائزة في الكناية، دون المجاز.

وقدّمنا المجاز على الكناية لأن معنى المجاز كجزء معنى الكناية، لأن معنى المجاز هو اللازم فقط. ومعنى الكناية يجوز أن يكون هو اللازم والملزوم جميعاً، والجزء مقدّم على الكل طبعاً، فيقدّم بحثُ المجاز على بحث الكناية وضعاً، وإنما قلنا: «كجزء معنى الكناية» لظهور أن معنى المجاز ليس جزء معنى الكناية حقيقة؛ فإن معنى الكناية ليس هو مجموع اللازم والملزوم، بل هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم.

منزلة التشبيه من الاستعارة، ومن علم البيان:

ثم من المجاز ما ينبني على التشبيه، وهو الاستعارة التي كان أصلُها التشبيه، فتعيّن التعرّض له قبل التعرّض للمجاز الذي أحد أقسامه الاستعارةُ المبنية على التشبيه، ولما كان في التشبيه مباحث كثيرة وفوائد جمة لم يجعل مقدمة لبحث الاستعارة، بل جعل مَقْصداً برأسه.

فانحصر المقصود من علم البيان في الثلاثة: التشبيه، والمجاز، والكناية.



التشبيه

أي: هذا باب التشبيه الاصطلاحي المبني عليه الاستعارة.

تعريف التشبيه:

التشبيه: هو الدلالة على مشاركة أمر لأمرٍ آخرَ في معنى.

والمرادُ من التشبيه المعرّف: مطلق التشبيه، أعمّ من أن يكون على وجه الاستعارة أو على وجه تنبني عليه الاستعارة، أو غير ذلك، فلم نأت بالضمير لئلا يعود إلى التشبيه المذكور[1] الذي هو أخص، وما يقال «إن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عَيْن الأولى» فليس على إطلاقه، يعني أن معنى التشبيه في اللغة هو ما ذكر.

والدلالة هنا مصدر قولك: (دللت فلاناً على كذا) إذا هَدَيْته إليه، والأمر الأول هو المشبّه، والأمر الثاني هو المشبّه به، والمعنى هو وجه الشبه، وهذا شامل لمثل: (قاتَل زيد عمرا)، و(جاءني زيد وعمرو).

والمراد بالتشبيه المصطَلَحِ عليه في علم البيان: ما لم تكن الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى على وجه الاستعارة التحقيقية، نحو: (رأيت أسداً في الحمام)، ولا على وجه الاستعارة بالكناية، نحو: (أنْشَبَت المنيّة أظفارها)، ولا على وجه التجريد الذي يُذْكَر في علم البديع نحو: (لقيتُ بزيد أسداً) أو (لقيَني منه أسد)؛ فإن في هذه الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، مع أن شيئاً منها لا يسمى تشبيهاً اصطلاحاً.

وإنما قيّدنا الاستعارة بالتحقيقية والكناية؛ لأن الاستعارة التخييلية

---

(١) يريد أنه ترجم للتشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة، وعرّف مطلق التشبيه، ولهذا لم يقل: «وهو الدلالة على مشاركة أمر... إلخ».

كإثبات الأظفار للمنية في المثال المذكور ليس فيه شيء من الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، على رأي المصنف؛ إذ المراد بالأظفار ههنا معناها الحقيقي، على ما سيجيء.

فالتشبيه الاصطلاحي هو: «الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد».

فدخل فيه نحو قولنا: (زيد أسد) بحذف أداة التشبيه، ونحو قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة: ١٨] بحذف الأداة والمشبّه جميعاً؛ أي: هم كالصّم؛ فإن المحققين على أنه تشبيه بليغ، لا استعارة؛ لأن الاستعارة إنما تُطْلَق حيث يُطْوى ذكر المستعار له بالكُليّة، ويُجعل الكلام خِلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه؛ لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام.

❁ ❁ ❁

والبحث في هذا المقصد عن أركان التشبيه المصطلح عليه – وهي أربعة: طرفاه أي: المشبّه، والمشبّه به، ووجهه، وأداته –، وعن الغرض منه، وعن أقسامه.

وإطلاق الأركان على الأربعة المذكورة إما باعتبار أنها مأخوذة في تعريفه، أعني «الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بالكاف ونحوه»، وإما باعتبار أن التشبيه في الاصطلاح كثيراً ما يطلق على الكلام الدال على المشاركة المذكورة، كقولنا: (زيد كالأسد في الشجاعة).

ولما كان الطرفان هما الأصل والعُمدَةَ في التشبيه، لكون الوجه معنى قائماً بهما، والأداة آلة في ذلك، ناسَبَ أن نقدِّم بحث الطرفين.

طرفاه إما حسّيّان، وإما غير حسّيّين:

طرفا التشبيه -وهما المشبّه، والمشبّه به- على ثلاثة أنواع:

لأنهما إما **حسِّيّان** كالخدِّ والوَرْد في الـمُبْصَرَات، والصوت الضعيف والهَمْس -أي: الصوت الذي أُخفي حتى كأنه لا يخرج عن فضاء الفم- في المسموعات، والنَّكْهة -وهي: ريحُ الفم- والعنبر في المشمومات، والريق والخمر في المذوقات، والجلد الناعم والحرير في الملموسات، وفي أكثر ذلك تسامح؛ لأن المُدرك بالبصر مثلاً إنما هو لون الخدّ والورد، وبالشم رائحة العنبر، وبالذوق طعم الريق والخمر، وباللمس مَلاسَة الجلد الناعم والحرير، ولِينُهما، لا نفس هذه الأجسام، لكن اشتهر في العرف أن يقال: أبصرتُ الوَرد، وشممتُ العنبر، وذقت الخمر، ولمست الحرير.

وإما **عقليّان** كالعلم والحياة، ووجه الشبه بينهما كونهما جِهَتَي إدراك، كذا في «المفتاح» و«الإيضاح»، فالمراد بالعلم ههنا الملكة التي يُقْتَدر بها على الإدراكات الجزئية، لا نفسَ الإدراك، ولا يخفى أنها ههنا جهة وطريق إلى الإدراك كالحياة.

وقيل: وجه الشبه بينهما الإدراك؛ إذ العلمُ نوعٌ من الإدراك والحياة مقتضية للحس الذي هو نوع من الإدراك؛ وفساده واضح؛ لأن كون الحياة مقتضية للحِسّ لا يوجب اشتراكهما في الإدراك، على ما هو شرط في وجه الشبه، وأيضاً لا يخفى أن ليس المقصود من قولنا: (العلم كالحياة) و(الجهل كالموت) أن العلم إدراك كما أن الحياة معها إدراكٌ، بل ليس في ذلك كبير فائدة كما في قولنا: (العلم كالحِسّ في كونهما إدراكاً).

وإما **مختلفان**: بأن يكون المشبّه عقلياً، والمشبّه به حِسّيًّا كالمنية والسبع، فإن المنية -أي: الموت- عقلي، لأنه عدم الحياة عما من شأنه الحياة، والسبع حِسّي، أو بالعكس[1]، وذلك مثل العطر الذي هو محسوس مشموم، وخلق كريم، وهو عقلي؛ لأنه كيفية نفسانية تصدر عنها الأفعال بسهولة.

والوجه في تشبيه المحسوس بالمعقول أن يُقَدَّر المعقول محسوساً، ويجعل كالأصل لذلك المحسوس، على طريق المبالغة، وإلا فالمحسوس أصل للمعقول، لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها، فتشبيه المحسوس بالمعقول يكون جَعْلا للفرع أصلاً والأصل فرعاً، وذلك لا يجوز.

ولما كان من المشبّه والمشبّه به ما لا يُدْرَكُ بالقوة العاقلة، ولا بالحس -أعني: الحس الظاهر- مثل الخياليات والوهميات والوجدانيات، نَاسَبَ أن يُتَوَسَّع في تفسير الحِسّي والعقلي بحيث يشملانها، تسهيلاً للضبط بتقليل الأقسام فنقول:

المراد من الحِسّي:

والمراد **بالحِسّي** المدرَكُ هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، أعني البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس، فدخل في الحِسّي -بسبب زيادة قولنا: «أو مادته»- الخيالي، وهو المعدوم الذي فُرض مجتمعاً من أمور كلٌّ واحد منها مما يدرك بالحس، كما في قول الشاعر:

وكـــأنَّ مُـحْـمَـــرّ الشّـقـيـ ـــق إذا تَـصَــوَّب أو تَـصـــعَّد
أعْــــلامُ يـاقــــوتٍ نُـشِـــرْ نَ عـــلى رمـــاحٍ مـــن زَبَرْجــدْ

---

(١) الأقسام أربعة تفصيلا، ثلاثة إجمالًا، وهو واضح.

(محمرَّ الشقيق): هو من باب جرْد قطيفةٍ[١]، و(الشقيق): وردٌ أحمر في وسطه سواد ينبت بالجبال، و(تصوَّب) أي: مال إلى السفل، و(تصعّد) أي: مال إلى العلو. والمشبّه به قوله: (أعلام ياقوت نُشرن على رماح من زبرجد) وكلٌّ من العلم والياقوت والرمح والزبرجد محسوسٌ، لكن المركَّب الذي هذه الأمور مادتُه ليس بالمحسوس، لأنه ليس بموجود، والحس لا يدرِكُ إلا ما هو موجود في المادة حاضر عند المـُدرِك على هيئة مخصوصة.

المراد بالعقلي:

والمراد **بالعقلي**: ما عدا ذلك، أي: ما لا يكون هو ولا مادته مُدرَكاً بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، فدخل فيه الوَهميُّ، وهو الذي لا يكون للحسِّ مدْخَل فيه، أي: ما هو غير مدرك بإحدى الحواس المذكورة، ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركاً بها، وبهذا القيد يتميز عن العقلي، كما في قول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي والـمَشرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيَابِ أغوالِ

أي: أيقتلني ذلك الرجلُ الذي توعَّدَني، والحالُ أن مُضاجعي سيفٌ منسوب إلى مَشَارف اليمن، وسهام محدّدة النصال صافية مجلوة، وأنياب الأغوال مما لا يدركها الحس لعدم تحققها، مع أنها لو أُدرِكت لم تُدرك إلا بحسِّ البصر.

ومما يجب أن يُعْلم في هذا المقام أن من قوى الإدراك ما يسمى مُخَيلة ومُفَكرة ومن شأنها تركيب الصور والمعاني، وتفصيلها، والتصرف فيها، واختراع أشياء لا حقيقة لها.

(١) يريد أنه من إضافة الصفة إلى الموصوف، فالمعنى: وكأن الشقيق المحمر، ويقال: أراد أنه من الإضافة البيانية، وهي إضافة الأعم إلى الأخص.

والمراد **بالخيالي**: المعدومُ الذي ركَّبَتْه المخيلة من الأمور التي أدركت بالحواس الظاهرة.

وبالوهمي: ما اخترعته المخيلة من عند نفسها، كما إذا سمع أن الغول شيء تهلك به النفوس كالسبع، فأخذت المخيلة في تصويرها بصورة السبع، واختراع ناب لها كما للسبع.

الوجداني ضرب من العقلي:

ودخل أيضاً في العقلي ما يُدْرَك بالقوى الباطنة، ويسمى وُجْدَانياً، كاللذة -وهي إدراكٌ ونَيلٌ لما هو عند المدرك كمال وخير، من حيث هو كذلك، والألم -وهو إدراكٌ ونَيلٌ لما هو عند المدرك آفةٌ وشرٌّ، من حيث هو كذلك-.

ولا يخفى أن إدراك هذين المعنيين ليس بشيء من الحواس الظاهرة، وليسا أيضاً من العقليات الصِّرْفة؛ لكونهما من الجزئيات المستندة إلى الحواس، بل هما من الوجدانيات المدركة بالقوى الباطنة: كالشِّبَع، والجوع، والفرح، والغمِّ، والغضب، والخوف، وما شاكل ذلك.

والمراد ههنا اللذة والألم الحِسّيان، وإلا فاللذة والألم العقليان من العقليات الصَّرْفة.

وجه الشبه، وانقسامه إلى تحقيقي وتخييلي:

ووجه الشّبه: ما يشتركان فيه، نعني أنه «المعنى الذي قُصِدَ اشتراك الطرفين فيه»، وذلك أنك إذا قلت: (زيد كالأسد) فلابد أن تكون قد قصدت مَعْنى اشتركا فيه، من بين معان كثيرة يشتركان فيها، ألا ترى أنهما يشتركان في كثير من الذاتيّات وغيرها: كالحيوانية، والجسمية، والوجود، وغير ذلك، مع

أن شيئاً منها ليس وَجْه الشَّبه، وذلك الاشتراك يكون تحقيقاً أو تخييلاً.

المراد بالتخييلي:

والمراد **بالتخييلي**: أن لا يوجد ذلك المعنى في أحد الطرفين، أو كليهما، إلا على سبيل التخييل والتأويل، نحو ما في قول القاضي التّنُوخيّ:

رُبَّ لَيلٍ قَطعْتُه بِصُدودٍ … أو فِراقٍ ما كان فيه ودَاعُ
مُوحِشٍ كالثّقِيلِ تَقْذَى به العيـ … ـنُ وتأبى حديثَهُ الأسْمَاعُ
وكأن النُّجُومَ بين دُجاهُ … سُننٌ لاحَ بَيْنهنَّ ابْتِداعُ

(دجاه): جمع دُجية، وهي الظلمة، والضمير لـ (ليل)، وروي (دجاها) والضمير (للنجوم).

وجه الشبه في هذا التشبيه هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جانب شيء مظلم أسود، وهذه الهيئة غير موجودة في المشبّه به -أعني السنن بين الابتداع- إلا على طريق التخييل، وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل يجعل صاحبه كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي للطريق، ولا يأمن من أن يناله مكروه، شبهت البدعة وكل ما هو جهل بالظلمة، ولزم بطريق العكس -إذا أريد التشبيه- أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور، لأن السنة والعلم كالنور، والبدعة والجهل كالظلمة، حتى تخيل أن السنَّة وكل ما هو علم مما له بياض وإشراق نحو: «أتيتكم بالحنيفية البيضاء»، وتخيل أن البدعة وكل ما هو جهل مما له سواد وإظلام كقولك: (شاهدتُ سوادَ الكفر من جبين فلان) فصار -بسبب تخيّل أن الثاني مما له بياض وإشراق، والأول مما له سواد وإظلام- تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كتشبيهها ببياض

الشيب في سواد الشباب، أي: أبيضه في أسوده، أو بالأنوار -أي: الأزهار- مؤتلقة -أي: لامعة- بين النبات الشديد الخضرة حتى يضرب إلى السواد، فهذا التأويل -أعني تخييل ما ليس بمتلوِّن متلوِّنا- أظْهَرَ اشتراك النجوم بين الدجى والسنن بين الابتداع في كون كل منهما شيئاً ذا بياض في شيء ذي سواد، ولا يخفى أن قوله: (لاح بينهن ابتداع) من باب القلب، أي: سننٌ لاحت بين الابتداع.

فعلم من وجوب اشتراك الطرفين في وجه الشبه فسادُ جعلِ وجه الشبه في قول القائل: (النحو في الكلام كالملح في الطعام) كون القليل مصلحاً والكثير مفسداً، لأن المشبّه -أعني النحو- لا يشترك في هذا المعنى، لأن النحو لا يحتمل القلة والكثرة، إذ لا يخفى أن المراد به ههنا رعاية قواعده واستعمال أحكامه: مثل رفع الفاعل، ونصب المفعول، وهذه إن وجدت في الكلام بكمالها كان صالحاً لفهم المراد، وإن لم توجد بقي فاسداً ولم ينتفع به، بخلاف الملح، فإنه يحتمل القلة والكثرة: بأن يجعل في الطعام القدر الصالح منه، أو أقل، أو أكثر، بل وجه الشبه هو الصلاح بإعمالها والفساد بإهمالها.

تطبيقات

١ - التطبيق الأول:

بيّن أركان التشبيه تفصيلاً في كل تشبيه من التشبيهات الآتية:

١ - قال أبو الغنائم الحمصي:

خَوْد كـأن بـنَانهـا في خُضرة النقش المـزَرَّدْ
سَمَكٌ من البلُّور في شَبكٍ تكوَّنَ مِنْ زبَرْجَدْ

٢ - وقال ابن الرومي:

هذي الشقائِقُ قد أبْصَرْتُ حُمرتها مع السَّواد على قُضْبانِها الذُّبُلِ
كأنها أَدمعٌ قد غسَّلَتْ كُحُلاً جادت بها وقفةٌ في وَجْنَتَيْ خَجِلِ

٣- وقال أيضاً:

بَذَلَ الوعدَ للأخِلَّاءِ سَمْحا وأبى بعد ذاك بَذْلَ العطاء
فغدا كالخِلَاف يورِق للعيـ ـن ويأبى الإثمار كُلَّ الإباء

٤ - وقال البحتري:

دانٍ على أيدي العُفاةِ وَشَاسِعٌ عن كلّ ندّ في الندى وضريب
كالبدر أفرط في العُلوّ وضَوؤه للعصبة السارين جِدُّ قريبِ

٥ - وقال ابن لنكك:

إذا أخو الحسن أضحى فعلُه سَمِجا رأيْتَ صورته من أقبح الصُّور
وهَبْهُ كالشمس في حُسنٍ، ألم ترنا نفِرّ منها إذا مالت إلى الضرر ؟

٦- وقال أبو الفضل الميكالي:

تصُوغ لنا أيدي الربيع حدائقاً كعقد عقيق بين سِمْطِ لآل

وفيهن أنوار الشقائق قد حَكَت خدود عذَارى نُقِّطَتْ بغَوالِ

٧- وقال القاضي الأرجاني:

وليلةِ مُشتاقٍ كأنَّ نجومها قد اغتَصَبَت عيني الكرى فَهْيَ نُوَّمُ

كأن سوادَ الليل - والفجر ضاحك؛ يلوحُ ويخفى - أسودٌ يتبسَّم

٨- وقال أيضاً يصف يوماً ممطراً:

سحابٌ أتى كالأمْنِ بعد تَخَوُّف له في الثرى فعلُ الشفاء بمُدْنَفِ

أكبَّ على الآفاق إطراقَ مُطْرِقٍ يفكِّر أو كالنائم المتلهِّف

ومَدّ جناحيه على الأرض جانحاً فراح عليها كالغراب المرفِرف

غدا البر بحراً زاخراً، وانثنى الضحى بظلمته في ثوب ليلٍ مُسَجَّفِ

الجواب

١- **المشبّه في هذين البيتين هو**: بنان الخود المنقوش بالوشم، والبنان: الأصابع، والخود: المرأة الناعمة.

والمشبّه به: هو السمك المصنوع من البلور في وسط شباك مصنوعة من زبرجد.

ووجه الشبه: هو اجتماع أجرام بيض ناصعة البياض في أجرام خضراء.

وأداة التشبيه: (كأن)، والطرفان حِسّيّان.

٢- **الشقائق**: ورود حمراء في وسطها نكت سود، ويقال لها (شقائق النعمان)، أضيفت إلى النعمان بن المنذر -ملك العرب في الحيرة- لأنه رآها فأعجبته، فحماها، وأمر ألا يقطفها أحد، وقيل: أضيفت إلى النعمان الذي هو الدم لشدة احمرارها المشابه لاحمرار الدم.

والمشبّه في هذين البيتين هو: الشقائق المستقرة فوق أغصان خضراء رقيقة.

والمشبّه به: هو الدمع المنسكب من عين المحبوب المكحولة فوق وجنة قد احمرّت من الخجل.

ووجه الشبه: هو اجتماع ثلاثة ألوان في كل من المشبّه والمشبّه به.

وأداة التشبيه هي: (كأن). والطرفان في هذا التشبيه حِسّيان كما ترى.

٣- **المشبّه في هذين البيتين هو**: المحبوب الذي يبذل لمحبه الوعد بأن يواصله، ثم إذا جاء وقت الإنجاز اعتصم بالتمنع والإباء.

والمشبّه به: هو شجر الخِلافِ الذي تراه مورقاً ناضراً كثير الخضرة، فإذا أردت أن تجد له ثمراً ينتفع به لم تجد.

ووجه الشبه: اجتماع حالين إحداهما معجبة مطمعة، والأخرى محزنة موئسة.

وأداة التشبيه: الكاف.

٤- دانٍ: أي قريب، والعفاة: جمع عافٍ، وهو طالب المعروف، وشاسع: بعيدٌ غاية البعد، والنِّد -بكسر النون-: المِثل والنظير، ومثله الضريب.

شبه الممدوح الذي يقرب من طالبي عطائه حتى ينالوا منه كل ما يريدون، ويبعد أقصى البعد عن أن يكون له نظير أو مماثل، بالبدر حيث هو بعيد بنفسه فلا تناله يد، وضوؤه الذي هو موضع النفع منه قريب غاية القرب.

فالمشبّه: الممدوح.

والمشبّه به: البدر.

وأداة التشبيه: الكاف.

ووجه الشبه: أن لكل منهما جهتين: جهة هو فيها قريب غايةَ القرب، وجهة هو فيها بعيد غاية البعد.

٥- **المشبّه** في هذين البيتين: شخص جميل المنظر حَسَن الرُّواء، وفعله سمج قبيح.

والمشبّه به: الشمس التي ننتفع بضوئها وحرارتها إذا كانت معتدلة، وتضرُّ بحرارتها إذا اشتدت.

وأداة التشبيه: الكاف، والطرفان حِسّيان.

ووجه الشبه: أن لكل واحد منهما جهتين: جهةُ حُسن تدفع الإنسان إلى الإقبال عليهما، وجهة ضر تدفعه إلى الابتعاد عنهما.

٦- في البيت الأول من هذين البيتين تشبيه:

والمشبّه فيه هو: الحدائق التي ينبتها الربيع.

والمشبّه به: عقد من عقيق يحوطه سمط من اللؤلؤ.

وأداة التشبيه: الكاف.

ووجه الشبه: اجتماع اللونين الأحمر والأبيض، وكون الأبيض محيطاً بالأحمر.

وفي البيت الثاني تشبيه آخر:

والمشبّه: أنوار الشقائق وهي الورود الحمراء في وسطها نكت سوداء.

والمشبّه به: خدود الفتيات الملاح قد وُشم كل خدٍّ منها بنقطة من الغالية، وهي ضرب من الطيب.

وأداة التشبيه: قوله «حكت».

٧- في البيت الثاني من هذين البيتين تشبيه.

والمشبّه هو: الليل في الوقت الذي قبيل انبثاق الفجر.

والمشبّه به: رجل زنجي يبتسم، أي: يضحك فتبدو أسنانه بيضاء.

وأداة التشبيه: قوله: «كأن».

ووجه الشبه: أن كلا منهما جِرم كبير أسود يظهر تارة في ثناياه جِرم صغير أبيض، ويختفي هذا الجرم الأبيض تارة أخرى.

٨- في البيت الأول تشبيهان:

أحدهما: **المشبّه فيه:** السحاب الذي أتى بعد طول القحط.

والمشبّه به: الأمن بعد الخوف.

وأداة التشبيه: الكاف.

ووجه الشبه: أن في كل منهما حدوث حالة محبوبة مرغوب فيها، مناقضة للحالة التي كانت قبل حدوثه.

والتشبيه الثاني: **المشبّه فيه:** فعل المطر بالأرض.

والمشبّه به: فعل الشفاء والبرء بالمريض.

ووجه الشبه: كوجه الشبه في التشبيه الأول.

وفي البيت الثاني: تشبيه آخر:

المشبّه فيه: طول إقامة السحاب في الأفق.

والمشبّه به شيئان: أحدهما: إطراق رجل برأسه يفكِّر في أمر عَرَضَ له. والثاني: النائم المتلهف.

وأداة التشبيه في الأول محذوفة، وفي الثاني: الكاف.

ووجه الشبه: الهدوء والسكون

وفي البيت الثالث: تشبيه آخر:

المشبّه فيه هو: السحاب الذي انتشر في الأفق واستطال.

والمشبّه به: الغراب الذي فتح جناحيه يرفرف بهما.

وأداة التشبيه: الكاف.

ووجه التشبيه: هو امتداد السواد وانتشاره في كل من الطرفين.

التطبيق الثاني

بيّن المشبّه والمشبّه به، ونوع كل واحد منهما، في كل تشبيه من التشبيهات الآتية:

١ – قال القاضي التَّنُوخي:

أما تـــرى البرْدَ قد وافت عَسَـــاكره وعســـكر الحرِّ كيف انصاع مُنْطلقاً
فالأرض تحت ضريب الثلج تحسبُها قد أُلْبِسَـــتْ حُبُكاً أو غُشِّـــيَتْ وَرِقا
فانهـــض بنـــارٍ إلى فحـــمٍ كأنهما في العـــين ظُلْمٌ وإنصاف قـــد اتّفقا
جاءت ونحن كقلب الصَّبِّ حين سَلا برْداً، فصِرنا كقلب الصبِّ إذ عشـــقا

٢ – وقال البحتري:

قصـــور كالكواكـــب لامعـــات يَكَـــدْنَ يُضِئْـــنَ للســـاري ظلاما

٣ – وقال سبط بن التعاويذي:

إذا مـــا الرعـــدُ زمجرَ خِلْتَ أُســـدا غِضابـــا في الســـحاب لهـــا زئير

٤ – وقال أبو العلاء المعري:

ليلتـــي هذه عَـــرُوسٌ مـــن الزَّنْـــ ـــج عليهـــا قلائـــدٌ مـــن جُمَانِ
هـــرَبَ النـــومُ مـــن عُيُـــونِي فيها هَـــرَبَ الأمْنِ عـــن فـــؤاد الجَبانِ

٥ – وقال البحتري:

بِنْتَ بالفضـــل والعلـــوِّ وأصْبَحـ ـــتَ ســـماءً وأصبح الناسُ أرضاً

٦ – وقال القاضي التنوخي:

رضَـــاك شـــبابٌ لا يَلِيه مَشـــيبُ وسُـــخْطك داءٌ ليس منـــه طبيب

كأنَّك مــن كلِّ النفــوس مُرَكَّبٌ فأنــت إلى كلِّ النفــوس حبيــب

٧- وقال سبط بن التعاويذي:

ركبــوا الدياجي، والــسروجُ أَهِلّةٌ وهُــمُ بــدورٌ، والأســنَّةُ أنْجُــمُ

٨- وقال أبو عتيق السفار:

وكــأن الــبــدرَ والــمــريـــ ـــخ إذ وافــى إلــيــه
مَـلِــكٌ تُـوقَــدُ لــيــلا شـمـعــةٌ بــين يـديــه

٩- وقال أبو الطيب المتنبي:

تُــشْرِقُ أعْرَاضُهُــم وأوْجُههُــمْ كأنهــا في نفوسِــهم شِــيَمُ

١٠- وقال غَيْلان بن عقبة (ذو الرمّة):

قــفِ العيسَ في أطلال ميّةَ واســألِ رُســوماً كأخلاق الرداءِ المسلســلِ

١١- وقال أبو الطيب المتنبي:

أنــا في أُمَّـــةٍ تداركهــا اللـــ ـــه غَرِيــب كصالــح في ثمــود

الجواب

١ - انصاع: انقاد، وضريب الثلج: جليده وصقيعه، والحُبُك -بضم الحاء والباء جميعاً-: جمع حبيكة، وهي طريقة النجوم في السماء، وغُشّيت -بالبناء للمجهول- غُطّيت، والوَرِق -بفتح الواو وكسر الراء-: الفضة، والصبّ -بفتح الصاد وتشديد الباء-: العاشق، وسلا: ترك ونسي أحباءه، وقلبه حينئذ بارد لا حرارة فيه، ويكنّون ببرودة القلب عن السلو، ومنه قول أبي الطيب المتنبي:

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ ممَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ ضَرَمُ

أ- في البيت الثاني من هذه الأبيات تشبيه:

المشبّه فيه: الثلج النازل من المطر وقد غطى وجه الأرض كله.

والمشبّه به شيئان: أحدهما: طرائق النجوم في السماء، وثانيهما: الفضة، والمشبّه حِسّي، والمشبّه بهما حِسّيان أيضاً.

ب- في البيت الثالث تشبيه شيئين بشيئين:

المشبّهان: النار والفحم.

والمشبّه بهما: الظلم والإنصاف، والمشبّهان هنا حِسّيان، والمشبّه بهما عقليان.

ج - في البيت الرابع تشبيهان:

أحدهما: شَبَّه المتكلم فيه نفسه ومن معه حين جاءتهم النار بقلب عاشقٍ سلا أحبّاءه ونسيهم، والمشبّه والمشبّه به حِسّيان.

والثاني شبه المتكلم فيه نفسه ومن معه بعد أن اصطلوا بالنار واستدفئوا بها بقلب العاشق دلَّهَه العشق.

٢- **المشبّه** في هذا البيت هو: القصور اللامعات.

والمشبّه به: النجوم، وكلاهما حِسّي.

٣- زَمْجَرَ: صوت، وخِلت: ظننت، والزئير: الصوت.

والمشبّه في هذا البيت: صوت الرعد.

والمشبّه به: صوت السباع الغضاب، وكلاهما حِسّي.

٤- **المشبّه في البيت الأول من هذين البيتين**: الليلة وقد أضيئت فيها الأنوار.

والمشبّه به: العروس الزنجية (السوداء) وقد ألبست قلائد من جُمَان وهو (اللؤلؤ). وكل من المشبّه والمشبّه به حِسّي.

٥- في هذا البيت تشبيه شيئين بشيئين:

أما **المشبّهان فهما**: الممدوح وسائر الناس.

وأما **المشبّه بهما** فهما: السماء بالنسبة للممدوح، والأرض بالنسبة لسائر الناس، وكل ذلك حِسّي.

٦- في البيت الأول من هذين البيتين تشبيهان:

أما التشبيه الأول **فالمشبّه** فيه: رضا الممدوح.

والمشبّه به: الشباب الدائم الذي لا يعقبه مشيب، وكلاهما عقلي.

وأما التشبيه الثاني **فالمشبّه** فيه: سخط الممدوح، **والمشبّه به**: الداء الذي لا طِبَّ له، وكلاهما عقلي.

٧- في هذا البيت ثلاثة تشبيهات:

أما التشبيه الأول **فالمشبّه فيه**: السروج.

والمشبّه به: الأهلة، وكلاهما حِسّي.

وأما التشبيه الثاني **فالمشبّه فيه**: الممدوحون.

والمشبّه به: البدور، وكلاهما حِسّي.

وأما التشبيه الثالث **فالمشبّه فيه**: الأسنة وهي جمع سنان، والسنان: طرف الرمح.

والمشبّه به: الأنجم، وكلاهما حِسّي.

٨- في هذين البيتين: تشبيه البدر وقد دنا منه المريخ - وهو أيضاً كوكب - بملك تُوقد بين يديه شمعة، وكلا الطرفين حِسّي.

٩- **المشبّه** في هذا البيت: أعراض الممدوحين وأوجههم.

والمشبّه به: الشيم، وهي: جمع شيمة، وهي الخصلة والسجية. والمشبّه حِسّي، والمشبّه به عقلي.

١٠- الأخلاق: جمع خَلَق، وهو البالي المتقطِّع.

والمشبّه في هذا البيت: رسوم الديار، وهو ما بقي منها لاصقاً بالأرض.

والمشبّه به: الرداء البالي المتقطع. وكلا الطرفين حِسّي.

١١- **المشبّه** في هذا البيت: المتكلم الذي يعيش بين قوم لا يجانسونه ولا يتلاءمون معه.

والمشبّه به: نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام، وقد كان يعيش في أمته ثمود، وكانت مُنكِرة لدعوته غيرَ مؤمنة بما جاءهم به. وكلا الطرفين حِسّي.

تمرينات

١ - التمرين الأول:

بيِّن وجه الشبه، ونوع اشتراك الطرفين فيه بإيضاح في كل تشبيه من التشبيهات الآتية:

١ - قال لبيد بن ربيعة العامري:

ومــا المــالُ والأهلــونَ إلا ودائعٌ ولا بُــد يومــاً أن تُــرَدَّ الودائــع

٢- وقال الأخطل:

وإذا افتقــرتَ إلى الذخائــر لم تجِدْ ذُخْــراً يكــون كصالــح الأعمال

٣- وقال الناشئ الأصغر:

وليلٍ تَوَارى النَّجم مــن طول مُكْثِهِ كــما ازوَرَّ محبــوبٌ لخــوفِ رقيبهِ

كأنَّ الثريَّــا فيــه باقــةُ نَرْجِــسٍ يُــحَيِّي بهــا ذو صبــوة لحبيبــه

٤- وقال محيي الدين بن عبد الظاهر:

مَــلأْتَ الليالي من عُــلا، وخَتَمْتَهَا فقد أصبحت مَحْشُــوَّةً من مكارمِك

ختمــتَ عليهــا بالثريَّا فقــل لنا: أهذا الذي في كفِّها مــن خَوَاتِمِكْ ؟

٥- وقال مسلم بن الوليد:

في عســكرٍ تُشرِق الأرضُ الفضاءُ به كالليــلِ أنْجُمُهُ القُضْبَانُ والأسَــلُ

٦- وقال ابن المعتز:

إذا شــئتُ أوْقَرْتُ البــلادَ حوافرا وســارت ورائــي هاشــمٌ ونزار

وعَــمَّ الســماءَ النقْعُ حتــى كأنَّه دُخَــانٌ وأطــرافُ الرمــاح شَرارُ

٧- **وقال بشار بن برد:**

وكنـــا إذا دبَّ العـــدوُّ لســـخطنا ... وراقَبَنـــا في ظاهـــر لا نُراقبـــهْ
ركبنـــا لـــه جَهْـــراً بـــكل مُثَقَّفٍ ... وأَبْيَضَ تستســـقي الدماءَ مضارِبُه
وجيشٍ كجُنحِ الليـــلِ يزحف بالقنا ... وبالشَّـــوكِ والخَطِّـــيِّ حُمْـــراً ثعالبُه
غدونا له والشـــمسُ في خِـــدْرِ أمِّها ... تطالعُهَـــا، والطَّـــلُّ لم يجـــر ذائِبُه
بِضَرْبٍ يذوق المـــوتَ مَنْ ذاق طعْمَهُ ... وتُـــدرِكُ من نَجَّـــى الفِـــرَارُ مَثَالِبُه

٨- **وقال البرهان القيراطي:**

ولمـــا بـــدا والليـــلُ أســـودُ فاحم ... قد انتـــشرت في الخافقـــين ذوائبه
أضـــاء ببـــدرِ الثغرِ عند ابتســـامه ... دُجى اللّيل حتّى نَظَّـــمَ الجِزع ثاقِبُه

٢- **التمرين الثاني:**

اشرح الأبيات الآتية شرحاً يبيِّن معناها، ويشير إلى أركان التشبيه التي في كل تشبيه منها إن كان.

١- **قال بعض الشعراء يصف البرقَ:**

عـــارضٌ أقْبَـــلَ في جُنـــح الدُّجى ... يَتَهـــادى كتهـــادي ذي الوَجـــى
أتْلَفَـــتْ ريـــح الصبـــا لؤلـــؤهُ ... فانـــبرى يوقـــد عنهـــا سُرُجـــا
وكأن الرعـــد حـــادي مصعـــب ... كلـــما صـــال عليـــه وشَـــجَا
وكأن الـــبرق كأسٌ سُـــكبَتْ ... في لَهَـــاهُ الـــمُزْنُ حتـــى لهجـــا
وكأن الجـــوَّ مَيْـــدَانُ وغـــىً ... رفعـــت فيـــه المذاكـــي رَهَجـــا

٢- وقال أبو الطيب المتنبي:

غيري بأكثـر هذا النـاس ينخدع   إن قاتلوا جَبُنُوا أو حَدَّثوا شَـجُعُوا
أهل الحفيظـة إلا أن تـُجَرِّبَـهُمْ   وفي التجـارب بعد الغـي ما يَزع
وما الحيـاة ونفسي بعـد ما علمت   أن الحيـاة كـما لا تَشـتهي طَبَع
ليـس الجمالُ لوجـهٍ صـحَّ مارِنُهُ   أنْـفُ العزيـز بقطع العـز يُجتدع
أأطرحُ المجـدَ عن كتفـي وأطلبه   وأترك الغيثَ في غِمـدِي وأنتجعُ ؟

٣- وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

إن الذوائـب من فِهْـرٍ وإخوتهم   قـد بَيَّنُـوا سُـنةً للنـاس تُتَّبَع
يَـرْضَى بها كلُّ مـن كانت سريرته   تقوى الإله، وبالأمـر الذي شرعوا
قـوم إذا حاربـوا ضرّوا عدوهُمُ   أو حاولوا النفعَ في أشـياعهم نفعوا
سـجية تلك فيهـم غـير مُحْدَثَةٍ   إن الخلائـق فاعلم شرُّهـا البِدَعُ
لا يَرقـعُ الناس ما أوْهَـتْ أكفّهمُ   عنـد الدفاع ولا يُوهـون ما رقعوا
إن كان في الناس سَـبَّاقون بعدهم   فكلُّ سـبقٍ لأدنـى سَـبقِهِم تَبَعُ

٤- وقال المتلمِّسُ:

وما النـاس إلا مـا رأوا وتحدَّثوا   وما العَجْزُ إلا أن يُضَاموا فيجْلِسـوا
فإن تُقْبِلـوا بالـودِّ نُقبِـل بمثلِهِ   وإلا فإنّـا نحـن آبى وَأَشْـمَسُ

وجه الشبه مفرد، أو مركب، أو متعدد:

ولوجه الشبه تقسيم آخر، وهو أنه إما **واحد**، وإما بمنزلة الواحد، لكونه **مركّباً** من متعدِّد، وتركيبه:

إما أن يكون تركيباً حقيقياً: بأن يكون حقيقة ملتئمة من أمور مختلفة.

وإما أن يكون تركيباً اعتبارياً: بأن يكون هيئة انتزعها العقل من عدة أمور، وكل واحد من الواحد و ما هو بمنزلته إما حِسّي وإما عقلي.

ومن وجه الشبه ما هو **متعدد**، والمراد بالتعدد أن ينظر إلى عدة أمور، ويقصد اشتراك الطرفين في كل واحد منها؛ ليكون كل منها وجه الشبه، بخلاف المركّب المنزّل منزلة الواحد؛ فإنه لم يقصد اشتراك الطرفين في كل واحد من تلك الأمور، بل في الهيئة المنتزعة أو في الحقيقة الملتئمة منها، والوجه المتعدد: إما حِسّي، وإما عقلي، وإما مختلف بعضه حِسّي وبعضه عقلي.

والحِسّي من وجه الشبه -سواء أكان بتمامه حِسّياً أم ببعضه- لابد أن يكون طرفاه حِسّيين، -أي: لا يجوز أن يكون كلاهما أو أحدهما عقلياً-؛ لامتناع أن يُدْرك بالحسِّ من غير الحِسّي شيء، وذلك من قِبَل أنَّ وجهَ الشَّبه أمر مأخوذ من الطرفين موجود فيهما، والموجود في العقليّ إنما يُدرك بالعقل، دون الحسّ، إذ المدرك بالحس لا يكون إلا جسماً أو قائماً بالجسم.

والعقلي من وجه الشبه أعمّ من الحِسّي، لجواز أن يُدرك بالعقل من الحِسّي شيء. وبيان هذا: أنه يجوز أن يكون طرفاه حِسّيين، أو عقليين، أو أحدهما حِسّياً والآخر عقلياً، إذ لا امتناعَ في قيام المعقول بالمحسوس، وإدراك العقل من المحسوسات شيئاً، ولذلك يقال: التشبيه بالوجه الحِسّي يصح بالوجه العقلي، من غير عكس.

فإن قيل: إن وجه الشبه مشترك فيه؛ ضرورة اشتراك الطرفين فيه، فهو كلي؛ ضرورة أن الجزئي يمتنع وقوع الشركة فيه، والحِسّي ليس بكلي قطعاً، ضرورة أن كل حِسّي فهو موجود في المادة حاضر عند المدرِك، ومثل هذا لا يكون إلا جزئياً ضرورة، فوجه الشبه لا يكون حِسّياً قط.

قلنا: المراد بكون وجه الشبه حِسّياً أن أفراده -أي جزئياته- مُدْرَكة بالحس كالحمرة التي تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة في المواد.

فالحاصل أن وجه الشبه: إما واحد، أو مركب، أو متعدد، وكل من الأولين إما حِسّي أو عقلي، والأخير: إما حِسّي؛ أو عقلي؛ أو مختلف؛ فتصير الأقسام سبعة. والثلاثة العقلية طرفاها: إما حِسّيان، أو عقليان، أو المشبّه حِسّي والمشبّه به عقلي، أو بالعكس، فصارت الأقسام ستة عشر قسماً.

الواحد الحِسّي: كالحمرة من المبصرات، وخفاء الصوت من المسموعات وطيب الرائحة من المشمومات، ولذة الطعم من المذوقات، ولين الملمس من الملموسات -فيما مرَّ في تشبيه الخد بالورد-، والصوت الضعيف بالهمس، والنكهة بالعنبر، والريق بالخمر، والجلد الناعم بالحرير، وفي كون الخفاء من المسموعات، والطيب من المشمومات، واللذة من المذوقات تسامح.

والواحد العقلي: كالعَراء عن الفائدة والجراءة -أي الشجاعة- والهداية -أي: الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب- واستطابة النفس، في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعدمِهِ فيما طرفاه عقليان، وفي تشبيه الرجل الشجاع بالأسد فيما طرفاه حِسّيان، وفي تشبيه العلم بالنور فيما المشبّه عقلي والمشبّه به حِسّي، فبالعلم يوصل إلى المطلوب، ويفرق بين الحق والباطل، كما أن بالنور يدرك المطلوب، ويفصل بين الأشياء، فوجه الشبه بينهما الهداية، وفي تشبيه

العطر بخلق شخص كريم فيما المشبّه حِسّي، والمشبّه به عقلي. ولا يخفى ما في الكلام من اللف والنشر، وما في وحدة بعض الأمثلة من التسامح، كالعراء عن الفائدة، مثلاً.

والمركب الحِسّي من وجه الشبه: إما أن يكون طرفاه مفردين، أو مركبين، أو أحدهما مفرداً والآخر مركباً.

ومعنى التركيب ههنا: أن تقصد إلى عِدّة أشياء مختلفة فتنتزع منها هيئة وتجعلها مشبهاً أو مشبهاً به، ولهذا صرح صاحب «المفتاح» في تشبيه المركب بالمركب بأن كلاً من المشبّه والمشبّه به هيئة منتزعة، وكذا المراد بتركيب وجه الشبه: أن تعمد إلى عدة أوصاف لشيء فتنتزع منها هيئة.

وليس المراد بالمركّب ههنا ما يكون حقيقة مركّبة من أجزاء مختلفة؛ بدليل أنهم يجعلون المشبّه والمشبّه به في قولنا: (زيد كالأسد) مفردين لا مركّبين، ووجه الشبه في قولنا: (زيد كعمرو في الإنسانية) واحداً، لا منزَّلاً منزلة الواحد.

فالمركب الحِسّي في التشبيه الذي طرفاه مفردان كما في قوله:

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثريَّا كما ترى ... كعُنقود مُلَّاحِيَّة حِينَ نَوَّرا

مُلّاحية - بضم الميم وتشديد اللام هنا -: عنب أبيض في حبه طول، وتخفيف اللام أكثر، (حين نورا) أي: تفتح نَوْره.

ووجه الشبه ههنا: الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى -وإن كانت كباراً في الواقع - على الكيفية المخصوصة-، أي: لا هي مجتمعة اجتماع التضامِّ والتلاصق، ولا شديدة الافتراق، منضمّة إلى المقدار المخصوص من الطول والعرض، فقد نظر إلى



عدة أشياء، وقَصَدَ إلى هيئة حاصلة منها، والطرفان مفردان؛ لأن المشبّه هو الثريا، والمشبّه به هو العنقود؛ مُقيَّداً بكونه عنقود الملاحية في حال إخراج النَّور، والتقييد لا ينافي الإفراد كما سيجيء إن شاء الله تعالى.

والمركب الحِسّي في التشبيه الذي طرفاه مركبان كما في قول بشار:

كأنَّ مُثَار النَّقْعِ فوق رُؤوسِنَا وأسيافنا ليلٌ تَهَاوى كوَاكبُه

(مثار النقع) من: أثار الغبار هيجه، و(تهاوى كواكبه) أي: تتساقط بعضها إثر بعض، والأصل: تتهاوى؛ فحُذفت إحدى التاءين.

ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقةً في جوانب شيءٍ مظلم، فوجه الشبه مركّب كما ترى، وكذا الطرفان؛ لأنه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سُلَّت من أغمادها، وهي تعلو وترسُبُ، وتجيء وتذهب، وتضطرب اضطراباً شديداً، وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة، وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض، مع التلاقي والتداخل والتصادم والتلاصق، وكذا في جانب المشبّه به، فإن للكواكب في تهاويها تواقعاً وتداخلاً واستطالة لأشكالها.

والمركب الحِسّي فيما طرفاه مختلفان أحدهما مفرد والآخر مركب -كما مرّ في تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد- من الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس أجرام خضر مستطيلة، فالمشبّه مفرد وهو الشقيق، والمشبّه به مركب، وهو ظاهر.

وعكسه تشبيه نهار مشمس قد شابه -أي: خالطه- زهر الربى[١]، بليل مقمر في قول أبي تمام:

يَـــا صَاحِبَـــيَّ تَقَصَّيَـــا نَظَرَيْكُـــمَا تَرَيَـــا وُجُوهَ الأرض كيـــف تُصَوَّرُ

تَرَيَـــا نَهَـــاراً مُشْمِســـاً قد شَـــابَهُ زَهْـــرُ الرُّبَـــى فَكَأَنَّـــما هُـــوَ مُقْمِرُ

ومن بديع المركب الحِسّي وجه الشبه الذي يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة، نعني أن يكون وجه الشبه هو الهيئة التي تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما، ويعتبر فيها تركيب.

ويكون ما يجيء في تلك الهيئات على وجهين:

أحدهما: أن يقترن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون، وعبارة «أسرار البلاغة» في هذا الموضوع: اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة، والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين؛ أحدهما: أن تُقْرَنَ بغيرها من الأوصاف، والثاني: أن تجَرَّد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها، فالأول كما في قول أبي النجم:

* والشَّمْسُ كالـمِرآةٍ في كَفِّ الأَشَلّ *

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، حتى يرى الشعاع كأنه يهِمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة، ثم يبدو له أن يرجع من الانبساط الذي بدا له إلى الانقباض، كأنه يرجع من الجوانب إلى الوسط، فإن الشمس إذا أَحَدَّ الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة الموصوفة، وكذلك المرآة في كف الأشل.

---

(١) الربى: جاءت في ثنايا المطبوع على صورتين (ربا، ربى) وقد أثبتنا الثانية، جمع رابية وربوة (صالح).

والوجه الثاني: أن تجرَّد الحركة عن غيرها من الأوصاف، فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين، وبعضه إلى الشمال، وبعضه إلى العلو، وبعضه إلى السفل؛ ليتحقق التركيب، وإلا لكان وجه الشبه مفرداً، وهو الحركة، فحركة الرحى والسهم لا تركيب فيها؛ لاتحادها، بخلاف حركة المصحف في قول ابن المعتز:

وكأَنَّ الـبَرْقَ مُصْحَفُ قَارٍ فَانْطِبَاقاً مَرَّةً وانْفِتَاحاً

و(قار) بحذف الهمزة: أصله قارئ، (فانطباقا مرة وانفتاحا) أي: فينطبق انطباقاً مرة، وينفتح انفتاحاً أخرى، فإن فيها تركيباً؛ لأن المصحف يتحرك في حالتي الانطباق والانفتاح إلى جهتين، في كل حالة إلى جهة.

وقد يقع التركيب في هيئة السكون ،كما في قول المتنبي في صفة كلب:

يُقْعِي جُلُوسَ البَدَوِيِّ الـمُصْطَلِي

(يقعي) أي: يجلس على أليتيه، وقوله: (جلوس البدوي المصطلي) من: اصطلى بالنار. ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب في إقعائه؛ فإنه يكون لكل عضو منه في الإقعاء موقع خاص، وللمجموع صورة خاصة مؤلَّفة من تلك المواقع. وكذلك صورة جلوس البدوي عند الاصطلاء بالنار الموقَدَة على الأرض.

والمركب العقلي من وجه الشبه كحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: ٥].

والأسفار: جمع سِفر -بكسر السين- وهو: الكتاب، فإن وجه الشبه أمر عقلي مُنتَزَعٌ من عدة أمور؛ لأنه روعي من الحمار فعلٌ مخصوص هو الحمل،

وأن يكون المحمول أوعية العلوم، وأن الحمار جاهل بما فيها، وكذا في جانب المشبّه.

خطأ بعضهم في الانتزاع:

واعلم أنه قد يُنْتزع وجه الشبه من متعدد فيقع الخطأ؛ لوجوب انتزاعه من أكثر من ذلك المتعدد، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول من قوله:

كما أَبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً غَمَامَةٌ فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

(كما أبرقت قوماً عطاشاً) في «الأساس»: أبرقت لي فلانة، إذا تحسَّنت لك وتعرَّضت، فالكلام ههنا على حذف الجارِّ وإيصال الفعل، أي: أبرقت لقوم، (عطاش): جمع عطشان، وقوله: (أقشعت وتجلت) أي: تفرقت وانكشفت.

فانتزاع وجه الشبه من مجرد قوله: (كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة) خطأ، لوجوب انتزاعه من جميع البيت؛ فإن المراد تشبيه الحالة المذكورة في الأبيات السابقة بحالة ظهور غمامة للقوم العطاش، ثم تفرُّقها وانكشافها وبقائهم متحيِّرين، والأمر المشترك فيه ههنا هو: اتصال ابتداء مُطْمع بانتهاء مُؤْيِس.

وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة، كما في قولنا: (زيد كالأسد والسيف والبحر)؛ فإن القصد فيها إلى التشبيه بكل واحد من الأمور على حِدَة، حتى لو حذف ذكر البعض لم يتغير حال الباقي في إفادة معناه، بخلاف المركَّب؛ فإن المقصود منه يختل بإسقاط بعض الأمور.

والمتعدد الحِسّي كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى.

والمتعدد العقلي كحدَّة النظر وكمال الحذر وإخفاء السِّفاد -أي: نَزْوِ الذكر على الأنثى- في تشبيه طائر بالغراب.

والمتعدد المختلف الذي بعضه حِسّي وبعضه عقلي، كحسن الطلعة الذي هو حِسّي، ونباهة الشأن -أي: شرفه واشتهاره- الذي هو عقلي، في تشبيه إنسان بالشمس.

ففي المتعدد يُقصد اشتراك الطرفين في كل أمر من الأمور المذكورة، ولا يُقصد إلى انتزاع هيئة منها تشترك هي فيها.

انتزاع وجه الشبه من التضاد:

واعلم أنه قد ينتزع وجه التشبيه من نفس التضادّ؛ لاشتراك الضدَّين فيه، لكون كل منهما مضاداً للآخر، ثم يُنزَّل التضادّ منزلة التناسب بواسطة تمليح(١) أو تهكُّم(٢)، فيقال للجبان: ما أشبهه بالأسد، وللبخيل: هو حاتم.

وكلٌ من هذين المثالين صالح للتمليح والتهكُّم، وإنما يفرَّق بينهما بحسب المقام، فإن كان القصد إلى ملاحة وطرافة دون استهزاء وسخرية بأحد فتمليح، وإلا فتهكم، وقد سبق إلى بعض الأوهام -نظراً إلى ظاهر اللفظ- أنّ وجه الشبه في قولنا للجبان: (هو أسد)، وللبخيل (هو حاتم) هو التضاد المشترك بين الطرفين باعتبار الوصفين المتضادين. وفيه نظر؛ لأنا إذا قلنا: (الجبان كالأسد في التضاد) أي في كون كل منهما مضاداً للآخر لا يكون هذا

---

(١) التمليح: الإتيان بما فيه ملاحة وظرافة، يقال: (ملح الشاعر) إذا أتى بشيء مليح، وقال الإمام المرزوقي في قول الحماسي:

أتاني من أبي أنس وعيد فسل لغيظه الضحاك جسمي

إن قائل هذه الأبيات قصد بها الهزؤ والتمليح، وأما الإشارة إلى قصة أو شعر فإنما هو التلميح -بتقديم اللام على الميم-، والتسوية بينهما إنما وقعت من جهة العلامة الشيرازي -رحمه الله- وهو سهو.

(٢) التهكم: السخرية والاستهزاء.

من التمليح والتهكم في شيء، كما إذا قلنا: (السواد كالبياض في اللونية) أو (في التقابل)، ومعلوم أنا إذا أردنا التصريح بوجه الشبه في قولنا للجبان: (هو أسد) تمليحاً أو تهكماً، لم يتأتَّ لنا إلا أن نقول: (في الشجاعة) لكن الحاصل في الجبان إنما هو ضد الشجاعة، فنزَّلنا تضادّهما منزلة التناسب، وجعلنا الجبن بمنزلة الشجاعة على سبيل التمليح والهزؤ.

أداة التشبيه:

وأداة التشبيه: الكاف، وكأنّ، ومثل، وما في معنى ذلك مما يشتق من المماثلة والمشابهة وما يؤدِّي هذا المعنى.

وقد تستعمل (**كأنّ**) عند الظن لثبوت الخبر من غير قصد إلى التشبيه، سواء كان الخبر جامداً أو مشتقاً، نحو: (كأن زيداً أخوك) و(كأنه قدم).

والأصل في **الكاف** ونحوها، كلفظ: (**نحو ومثل وشبه**) أن يليه المشبّه به لفظاً، نحو: (زيد كالأسد)، أو تقديراً، نحو قوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٩] على تقدير: أو كمثل ذوي صيب، وقد يليه غير المشبّه به، نحو: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ [الكهف: ٤٥]، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء؛ ولا بمفرد آخر يتحمَّل تقديره، بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات الحاصل من الماء، يكون أخضر ناضراً شديد الخضرة، ثم ييبس فتطيره الرياح كأن لم يكن، ولا حاجة إلى تقدير «كمثل ماء»؛ لأن المعتبر هو الكيفية الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف؛ واعتبارها مستغن عن هذا التقدير، ومن زعم أن التقدير «كمثل ماء» وأن هذا مما يلي الكاف غير المشبّه به بناء على أنه محذوف؛

فقد سها سهواً بيِّناً؛ لأن المشبّه به الذي يلي الكاف قد يكون ملفوظاً به، وقد يكون محذوفاً على ما صرّح به في «الإيضاح».

وقد يُذْكر **فعل** يُنبئ عن التشبيه، كما في قولهم: (علمت زيداً أسداً) إن قرب التشبيه وادّعى كمال المشابهة، لما في (علمت) من معنى التحقيق، و(حسبت زيداً أسداً) إن بعد التشبيه، لما في الحسبان من الإشعار بعدم التحقيق والتيقن، وفي كون مثل هذه الأفعال مُنبئاً عن التشبيه نوع خفاء، والأظهر: أن الفعل يُنبئ عن حال التشبيه في القرب والبعد.

أغراض التشبيه:

والغرض من التشبيه في الأغلب يعود إلى المشبّه، وهذا الغرض العائد إلى المشبّه:

إما أن يكون بيان أن المشبّه أمر ممكن الوجود، وذلك إذا كان أمراً غريباً يمكن أن يُخَالَفَ فيه ويدّعى امتناعه ، كما في قول المتنبي:

فــإنْ تَفُــقِ الأنــامَ وأنْــتَ مِنْهُمْ فإنّ الــمِسْكَ بَعْــضُ دَمِ الْغَزَالِ

فإنه لما ادّعى أن الممدوح قد فاق الناس حتى صار أصلاً برأسه، وجنساً بنفسه، وكان هذا في الظاهر كالممتنع، احتجَّ لهذه الدعوى، وبيّن إمكانها بأن شبّه هذه الحال بحال المسك الذي هو من الدماء، ثم إنه لا يعدُّ من الدماء؛ لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم، وهذا التشبيه ضمنيٌّ ومكنىّ عنه.

وإما أن يكون الغرضُ بيانَ حال المشبّه، بأنه على أي وصف من الأوصاف، كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد، إذا علم السامع لون المشبّه به دون المشبّه.

وإما أن يكون الغرض بيان مقدار حال المشبّه في القوَّة والضعف والزيادة والنقصان، كما في تشبيه الثوب الأسود بالغراب في شدة السواد.

وإما أن يكون الغرض تقرير حال المشبّه في نفس السامع وتقوية شأنه، كما في تشبيه مَنْ لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقُمُ على الماء، فإنك تجد فيه من تقرير عدم الفائدة وتقوية شأنه ما لا تجده في غيره؛ لأن الفكر بالحِسّيات أتمّ منه بالعقليات؛ لتقدّم الحِسّيات وفرط إلفِ النفس بها.

وهذه الأغراض الأربعة تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبّه به أتم، وأن يكون المشبّه به أشهر وأعرف بوجه الشبه.

وظاهر هذه العبارة أن كلا من الأربعة يقتضي الأتميَّة والأشهرِيَّة، لكن التحقيق أن بيان الإمكان وبيان الحال لا يقتضيان إلا الأشهرِيَّة ليصح القياس ويتم الاحتجاج في الأول ويعلم الحال في الثاني، وكذا بيان المقدار لا يقتضي الأتمية، بل يقتضي أن يكون المشبّه به على حدِّ مقدارِ المشبّه لا أزيد ولا أنقص، ليتعيَّن مقدار المشبّه على ما هو عليه، وأما تقرير الحال فيقتضي الأمرين جميعاً؛ لأن النفس إلى الأتم والأشهر أميل؛ فالمشبّه به بزيادة التقرير والتقوية أجدَر.

وإما أن يكون الغرض تزيين المشبّه في عين السامع، كما في تشبيه وجهِ أسود بمقلة الظبي، **أو تقبيحه**، كما في تشبيه وجه مجدور بسَلْحة جامدة قد نقرتها الديكة، **أو استطرافه** -أي: عَدِّ المشبّه طريفاً حديثاً بديعاً- كما في تشبيه فحمٍ فيه جمرٌ موقَدٌ ببحر من المسك مَوْجه الذهب، وإنما استطرف المشبّه في هذا التشبيه لإبراز المشبّه في صورة الممتنع الوقوع عادة، وإن كان ممكنا عقلاً، ولا يخفى أن الممتنع عادة مستطرف غريب.

وللاستطراف وجه آخر غير الإبراز في صورة الممتنع عادة، وهو: أن يكون المشبّه به نادر الحضور في الذهن: إما مطلقاً ، كما مرَّ في تشبيه فحم فيه جمر موقد، وإما عند حضور المشبّه ، كما في قول ابن الرومي:

ولازَوَرْدِيَّةٍ تزْهُو بِزُرْقَتِها بين الرياض على حُمْر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضَعُفْنَ بها أوائل النار في أطراف كبريت

(لازوردية) يعني: البنفسج، (تزهو) قال الجوهري في «الصحاح»: زهى الرجل فهو مَزْهُوٌّ ، إذا تكبر، وفيه لغة أخرى حكاها «ابن دريد»: زها يزهو زهواً، وأراد بقوله: (حمر اليواقيت): الأزهار والشقائق الحمر.

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرةَ حضورِ بحرٍ من المسك مَوْجُهُ الذهب، لكن يندر حضورها عند حضور صورة البنفسج؛ فيستطرف بمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية البعد.

وقد يعود الغرض من التشبيه إلى المشبّه به، وذلك ضربان:

أحدهما: إيهام أنه أتمُّ من المشبّه في وجه الشبه، وذلك في التشبيه المقلوب الذي يجعل فيه الناقص مشبها به إلى ادّعاء أنه أكمل، كقول محمد بن وهب الحميري:

وبَدَا الصبَاحُ كأنَّ غُرَّتَهُ وجْهُ الخلِيفةِ حِينَ يمْتَدَحُ

والغرة: هي بياض في جبهة الفَرَس فوق الدرهم، استعيرت لبياض الصبح، ألا ترى أنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتمّ من الصباح في الوضوح والضياء، وفي قوله: (حين يمتدح) دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق

المادح، وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالإصغاء إليه والارتياح له، وعلى كماله في الكرم حيث يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح.

والضرب الثاني من الغرض العائد إلى المشبّه به: بيان الاهتمام بالمشبّه به، كتشبيه الجائع وجهاً كالبدر في الإشراق والاستدارة بالرغيف، ويسمى التشبيه المشتمل على هذا النوع من الغرض (إظهار المطلوب).

الحكم بالتشابه:

هذا الذي ذكرناه من جعل أحد الشيئين مشبهاً والآخر مشبهاً به إنما يكون إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه: إما حقيقةً كما في الغرض العائد إلى المشبّه، أو ادِّعاء كما في الغرض العائد إلى المشبّه به، بالزائد في وجه الشبه.

فإن أريد الجمع بين شيئين في أمر من الأمور من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصاً والآخر زائداً، سواء أوجدت الزيادة والنقصان أم لم تُوجد، فالأحسن أن تَتْرك التشبيه ذاهباً إلى الحكم بالتشابه؛ ليكون كل من الشيئين مشبهاً ومشبهاً به؛ احترازاً عن ترجيح أحد المتساويين في وجه الشبه، كما فعل أبو إسحاق الصابِئ في قوله:

تشَابَهَ دَمْعِي إذْ جَرَى ومُدامَتي … فمنْ مِثْلِ مَا في الكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَبِالخَمْرِ أَسْبَلَتْ … جُفُونِيَ أَمْ مِنْ عَبْرَتِي كنتُ أَشْرَبُ

يقال: أسبل الدمع والمطر، إذا هَطَل، وأسبلت السماء، والباء في قوله: (أبالخمر) للتعدية ليست بزائدة على ما توهَّم بعضهم.

وأنت ترى في هذين البيتين أنه لما اعتقد التساوي بين الدمع والخمر ترك التشبيه إلى التشابه.

ويجوز -عند إرادة الجمع بين شيئين في أمر- التشبيهُ أيضاً؛ لأنهما وإن تساويا في وجه الشبه بحسب قصد المتكلم، يجوز له مع ذلك أن يَجعل أحدَهما مشبهاً والآخر مشبهاً به؛ لغرض من الأغراض وسبب من الأسباب، مثل زيادة الاهتمام، وكون الكلام فيه، كتشبيه غرَّة الفَرَس بالصُّبح، وتشبيه الصبح بغرة الفرس، متى أريد ظهور منيرٍ في مظلمٍ أكثَرَ من ذلك المنير، من غير قصد إلى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ، ونحو ذلك، إذ لو قصد ذلك لوجب جعلُ الغرَّة مشبهاً والصبح مشبها به.

تطبيقات

١- التطبيق الأول:

بيِّن طرفي التشبيه، ونوع كل منهما، مع بيان الغرض من التشبيه في كل تشبيه من التشبيهات الآتية:

١- قال أبو نواس:

كأن صُغْـــرى وكبرى مـــن فقاقعها ... حصْبَاءُ دُرٍّ عـــلى أرضٍ من الذهب

٢- وقال البحتري:

ذات حُسْنٍ لو اســتزادت من الحسـ ... ـــن إليـــه لمـــا أصابـــت مَزِيدًا

فَهْي كالشـــمس بهجةً والقضيب الـ ... ـــدْنِ قـــدًّا، والرِّيم طرْفـــاً وجِيدا

٣- وقال البوصيري:

والنفسُ كالطِّفل إن تُهمِلْهُ شَبّ على ... حبِّ الرضـــاع وإن تَفْطِمْـــهُ يَنْفَطِمِ

٤- وقال الأعشى ميمون:

كأن مِشْــيَتَها مـــن بيـــت جارتها ... مَرّ الســـحابةِ لا رَيْـــثٌ ولا عَجَل

٥- وقال الشاعر:

دَنَـــوْتَ تَواضُعـــاً وعلَـــوْتَ مَجْداً ... فشـــأناكَ انخفـــاضٌ وارتفـــاعُ

كذاك الشـــمس تَبْعُد أن تُسَـــامى ... ويدنـــو الضـــوء منها والشـــعاع

٦- وقال الشاعر:

كأنَّ عيون النرجـــس الغَضِّ حولنا ... مَدَاهِـــنُ دُرٍّ حَشْـــوُهُنّ عقيـــقُ

٧- وقال الشاعر:

وغـــيْرُ تَقِيٍّ يأمـــرُ النـــاس بالتُّقَى　　طبيبٌ يداوي النـــاسَ وهو مريض

٨- وقال الشاعر:

والليـــلُ في لـــون الغـــرابِ كأنّه　　هـــو في حُلُوكَتِـــه، وإن لم يَنْعَـــبِ

٩- وقال ابن الرومي:

أَوَّلُ بـــدء المشـــيب واحـــدةٌ　　تُشْـــعل ما جَـــاوَرَتْ من الشَّـــعَر

مثـــلُ الحريـــقِ العظيـــم تَبْـــدَؤُهُ　　أَوَّلَ صـــولٍ صغـــيرةُ الـــشرر

١٠- وقال ابن المعتز:

قَدِ انقَضَـــتْ دولَةُ الصيـــام، وقد　　بَـــشَّرَ سُـــقْمُ الهـــلال بالعيـــد

يَتلُـــو الثُّريّـــا كفَاغِـــرٍ شَرِه　　يَفْتَـــحُ فـــاه لأكلِ عُنْقُـــود

١١- وقال السري الرفاء:

وكأنَّ الهـــلال نُـــونُ لجَـــينٍ　　غَرِقَـــتْ في صحيفـــة زَرْقَـــاء

الجواب

١ - (الفقاقع): جمع فُقّاعَة، وهي النفاخة التي تعلو على وجه الخمر عند مزجها بالماء، والحصباء: أصلها القطعة الصغيرة من الحَصَى.

والمشبّه في هذا البيت: النفاخات الصغيرة والنفاخات الكبيرة التي تعلو وجه الخمر حين يمزجونها بالماء، وهو حِسِّي.

والمشبّه به: قِطع اللؤلؤ المنتثرة على أرضٍ مصنوعة من الذهب، وهو حِسِّي أيضاً؛ لأنه -وإن لم يكن موجوداً في الخارج- بحيث لو وجد لم يُدرك إلا بالحِسّ.

والغرض من التشبيه ههنا: بيان حال المشبّه.

٢- المزيد -بفتح الميم-: الزيادة، أو هو اسمُ المفعول من مصدر (زاده يزيده)، والقضيب: الغُصْنُ، واللَّدْن: الطري المتأوِّدُ المتمايل، والرِّيم -بكسر الراء-: ولد الظبية، والطَّرف -بالفتح-: العين، والجِيد: العنق.

والمشبّه في هذين البيتين واحد وهو: المليحة التي يتغزل الشاعر فيها، وهو حِسّي.

والمشبّه به متعدد، الأول: الشمس وهو حِسّي، والثاني: الغصن، وهو حِسّي، والثالث: ولد الظبية وهو حِسّي أيضاً. وقد ذكر الشاعر وجه الشبه في كل تشبيه منها.

والغرض من التشبيه: بيانُ مقدار حال المشبّه.

٣- **المشبّه** في هذا البيت: النفس، وهو عقلي.

والمشبّه به: الطفل الذي لا يزال رضيعاً وهو حِسّي.

والغرض من هذا التشبيه: تقرير حال المشبّه في نفس السامع وتقوية شأنه عنده.

٤- الرَّيْثُ -بفتح الراء وسكون الياء المثناة-: البُطء.

والمشبّه في هذا البيت: مِشْيَةُ هذه الفتاة التي يتغزل فيها من بيت جارتها حين تزورها، وهو حِسّي.

والمشبّه به: مُرُورُ السحابة التي تحمل المطر في الأفق، وهو حِسّي أيضاً.

والغرض من هذا التشبيه: بيانُ حال المشبّه.

٥- دنوت: قربت، وتواضعا: مفعول لأجله، وتُسامي: أي تُغَالَبُ في سموِّ قدرها ورفعة منزلتها.

والمشبّه في هذين البيتين: الممدوح.

والمشبّه به: الشمس، وكل منهما حِسّي.

والغرض من هذا التشبيه: بيان حال المشبّه.

٦- النرجس: نوع من الزهر أبيض اللون، وفي وسطه نكتة يخالف لونها لون بقية الزهرة، وتكون هذه النكتة غالباً سوداء، والشعراء يشبِّهون العيون بالنرجس لذلك، والمداهن: جمع مُدْهُن، والمراد به ههنا عُلبَة يوضع فيها الدّهن.

والمشبّه في هذين البيتين: النرجس وهو حِسّي.

والمشبّه به: عُلَب متَّخذة من الدُّرِّ حُشِي جَوْفها عقيقاً وهو حِسّي أيضاً.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه.

٧- **المشبّه** في هذا البيت: الرجل غير التقي الذي يأمر الناس بالتقى.

والمشبّه به: الطبيب الذي يعالج المرضى فيبرئهم من أدوائهم وهو مريض لا يعالج نفسه، وكل واحد منهما حِسّي.

والغرض من التشبيه: تقرير حال المشبّه عند السامع.

٨- الحُلُوكة -بضم الحاء واللام-: شدة السواد، وينعب: مضارع من النعيب وهو صوت الغراب.

والمشبّه في هذا البيت: الليل وهو حِسّي.

والمشبّه به: الغراب وهو حِسّي أيضاً.

والغرض من هذا التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه.

٩- تشعل: تُوقِد وتُلْهِبُ وَتُذْكي النار، وهذا الكلام يشير إلى قولهم: «معظم النار من مستصغر الشرر».

والمشبّه في هذين البيتين: الشيب.

والمشبّه به: النار، وكلاهما حِسّي.

والغرض من التشبيه: تقرير حال المشبّه عند السامع.

١٠- سُقْم الهلال: أراد صِغَرَه وأَخْذَه في الذهاب، ويتلو: يتبع، والفاغر: الذي يفتح فمه، تقول: (فَغَر فلانٌ فمه) يريد فتحه، والشَّرِه -بفتح الشين وكسر الراء-: الشديد النهم والرغبة في الأكل.

والمشبّه في هذين البيتين: الهلال.

والمشبّه به: رجل فاغر فمه لأكل عنقود من العنب، وكلاهما حِسّي.

والغرض من التشبيه: بيان حال المشبّه.

وفي الكلام تشبيه ضمني، وهو تشبيه الثريا -التي هي عدة نجوم متلاصقة- بعنقود العنب.

١١- نون: أراد به حرف النون الذي يكتب، واللجين -بزنة المصغّر-: الفضة، والصحيفة: الورقة التي يكتب فيها.

والمشبّه في هذا البيت: الهلال.

والمشبّه به: حرف النون المكتوب بالفضة.

والغرض من هذا التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه.

وفي البيت تشبيه ضمني أيضاً، وهو تشبيه السماء بصحيفة زرقاء من الصحف التي يكتب فيها.

٢- التطبيق الثاني

بيِّن وجه الشبه، ونوعه، والغرض من التشبيه، في كل تشبيه من التشبيهات الآتية:

١- قال أبو الطيب المتنبي:

يزُورُ الأعــادي في سـماء عَجَاجَةٍ أسِـنَّتُهُ في جانبيهـا الكواكـب

٢- وقال أيضاً:

مَثّلْـتُ عينك في حشـاي جراحةً فتشـابها، كلتاهمـا نَجْـلَاء

نفـذت عـليَّ السـابِرِيّ وربـما تنـدقُّ فيـه الصّعْـدَةُ السَّـمْرَاء

أنا صخـرة الـوادي إذا ما زوحمت فـإذا نطقـت فإننـي الجـوزاء

وإذا خفيـت عـلى الغبـي فعاذر أن لا تـراني مقلـةٌ عميـاء

٣- وقال الأخيطل الأهوازي يصف مصلوبا:

كأنـه عاشـقٌ قـد مـدَّ صفحته يـوم الفـراق إلى توديـع مُرتحلِ

أو قائـمٌ من نعـاس فيـه لُوثتهُ مُواصِـلٌ لتمطّيـه من الكسـلِ

٤- وقال ابن الأبَّار:

ونهرٍ كـما ذابـت سـبائك فضة حكـى بمحَانيه انعطـافَ الأراقم

إذا الشَّـفَقُ اسـتولى عليه احمرارُهُ تَبَدَّى خَضِيباً مثل دامِـي الصَّوَارِمِ

٥- وقال ابن قلاقس يصف النيل وقت الأصيل:

ولِلنِّيـلِ تحـتَ ثيـابِ الأصِيلِ لُـجَيْنٌ تَوَشَّـحَ بالعَسْـجَدِ

يُحَاكـي إذا دَرّجَتْـهُ الصَّبـا بُـرادةَ تِـبْرٍ عـلى مِـبْرَدِ

٦- وقال أبو طالب المأموني:

عزماتهم قُضُبٌ، وفيضُ أكفِّهم سُحُبٌ، وَبِيضُ وجوهِهم أقمارُ

٧- وقال ابن حبان الكاتب:

كأنما الْفَحْمُ والزناد وما تفعله النار فيهما لَهَبَا
شَيْخٌ من الزَّنْج شَابَ مَفرِقُهُ عليه دِرْعٌ منسوجة ذَهَبَا

٨- وقال الوأواء الدمشقي:

ولربَّ ليلٍ ضلَّ عنه صباحُه وكأنَّه بكَ خَطْرَةُ المتذكِّرِ
والبدر أول ما بدا متلثما يبدي الضياء لنا بخدٍّ مُسْفِرِ
فكأنما هو خُوذَةٌ من فضة قد ركّبت في هامةٍ من عنبر

٩- وقال ابن لنكك البصري:

وروضٍ عبقريّ الوَشْي غضّ يُشَاكل حين زُخْرِف بالشقيق
سماءَ زَبَرْجَدٍ خضراء، فيها نجومٌ طالعات من عقيق

١٠- وقال محمد بن الحسن المصري الكاتب:

رأيت يحيى إذ أفاد الغنى هاج به ذكر ووَسْواسُ
كأنه كلبٌ على جيفة يخاف إن يطرُدَه النّاس

١١- وقال صفوان بن إدريس:

والورد في شطِّ الخليج كأنه رَمَدٌ ألَمَّ بمقلةٍ زرقاء

الجواب

١ – العَجَاجة –بفتح العين والجيم جميعاً–: الغبار الذي ينعقد على رؤوس المحاربين من أثر اصطكاك حوافر الخيل بالأرض، والأسنة: جمع سِنَان، وهو طرف الرمح.

والمشبّه في هذا البيت: الكواكب.

والمشبّه به: الأسنة.

ووجه الشبه: اللمعان والبريق، وهو حِسّي مفرد.

والغرض من التشبيه: بيان حال المشبّه.

٢ – مثلت: أي شبهت، ونجلاء: واسعة، ونفذت: اخترقت، والسابري: أراد به الدروع، والصعدة: الرمح.

وفي البيت الأول من هذه الأبيات تشبيه:

المشبّه فيه: عين المحبوبة التي يتغزل فيها.

والمشبّه به: الجراحة.

ووجه الشبه: السَّعَة في كل واحد منهما على ما ذكره الشاعر نفسه في قوله: (كلتاهما نجلاء)، وهو حِسّي مفرد.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه.

٣– صفحته: أراد بها وجهه، واللُّوثة –بضم اللام– الاسترخاء، ومُوَاصل: أي متابع.

وفي هذين البيتين تشبيه شيء واحد وهو الرجل المصلوب بشيئين:

أحدهما: العاشق المودِّع لحبيب مرتحل.

والثاني: الرجل الذي قام من نومه، ولا يزال بدنه في استرخاء.

ووجه الشبه في كليهما: الهيئة التي يكون عليها كل واحد منهما.

والغرض من التشبيه: بيان حال المشبّه.

٤- السبائك: جمع سبيكة، وحكى: أي شابه، ومحانيه: انعطافاته، والأراقم: جمع أرقم وهو الحية، وتَبَدَّى: ظهر، والصوارم: جمع صارم وهو السيف القاطع.

وفي البيت الأول تشبيه النهر في حال انعطافه بالحية.

ووجه الشبه: تلوي كل واحد منهما.

والغرض من هذا التشبيه: بيان حال المشبّه.

وفي البيت الثاني تشبيه النهر أيضاً -وقد انعكس عليه لون الشفق- بالسيف الذي خُضِّبَ بدماء القتلى.

ووجه الشبه في هذا التشبيه: الهيئة الحاصلة من وجود لونٍ أحمر على لونٍ أبيض.

والغرض من هذا التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه.

٥- الأصيل: الوقت قبيل غروب الشمس، وتَوَشَّحَ: أراد: لَبِسَ، والعسجد: الذهب، ويحاكي: يشبه، والصَّبا -بفتح الصاد-: الريح التي تهب من ناحية الشمال.

شبّه في البيت الأول النِّيل عند وقت الأصيل بالفضة التي غطيت بالذهب.

ووجه الشبه في هذا هو: الهيئة الحاصلة من وجود لونٍ أبيض تحت لونٍ أصفر.

والغرض من هذا التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه.

وفي البيت الثاني:

شبّه النيل أيضاً -حين تمر عليه ريحُ الصَّبا فيتموَّج ماؤه- ببرادة تِبر فوق المبرد.

ووجه الشبه هو: الهيئة الحاصلة من وجود لونٍ فوقَ لونٍ كما في التشبيه الأول.

والغرض من التشبيه: بيان حال المشبّه.

٦- القضب: جمع قضيب، وأراد به هنا السيف، وفي هذا البيت ثلاثة تشبيهات:

الأول: **المشبّه فيه**: عزمات الممدوحين.

والمشبّه به: السيوف التي تقطع ما تضربه.

ووجه الشبه في هذا التشبيه: نفاذ كل واحد من المشبّه والمشبّه به.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه.

والثاني: **المشبّه فيه**: أكف الممدوحين.

والمشبّه به: السحب.

ووجه الشبه في هذا التشبيه: عظيم النفع بكل منهما.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه.

والثالث: **المشبّه فيه**: وجوه الممدوحين.

والمشبّه به: الأقمار.

ووجه الشبه بينهما: الإضاءة والإشراق.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه أيضاً.

٧- **المشبّه في هذين البيتين**: الهيئة الحاصلة من وجود الفحم ولونه أسود والزناد وتلهُّب النار.

والمشبّه به: الهيئة الحاصلة من وجود رجل أسود اللون قد شاب شعرُ مُقدَّم رأسه وهو يلبس درعاً من الذهب.

ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من اجتماع ثلاثة ألوان في كل واحد من الطرفين السواد والبياض والصفرة.

والغرض من التشبيه: استطراف المشبّه، أي: عَدُّه طريفاً .

٨- (ضل عنه صباحه): كناية عن طول الليل.

شبّه في البيت الأول الليل الطويل مع وجود المحبوب بخطرة من غاب عن ذهنه شيء فطلبه فتذكره.

ووجه الشبه: سرعة انقضاء كل منهما.

والغرض من هذا التشبيه: بيان مقدار حال المشبّه، والخُوذة - بضم الخاء - لباس الرأس للجند، والهامة: الرأس.

وشبّه في البيتين الثاني والثالث البدر -وقد ظهر في وسط ظلام الليل- بخوذة متخذة من الفضة قد ألبست رأساً من العنبر.

ووجه الشبه في هذا التشبيه: الهيئة الحاصلة من اجتماع لونين: أسود فوقه أبيض.

والغرض من هذا التشبيه: استطراف المشبّه لإبرازه في صورة الممتنع عادة.

٩- عبقري الوشي: يريد أن ما ظهر من الورود والرياحين مما لا مِثل له، وعَبْقَر في زعم العرب: بلد يسكنها الجن، وهم ينسبون كلّ ما لا نظير له إليها، ويشاكل: يشابه.

شبّه في هذين البيتين الروض الذي زخرف بشقائق النعمان بسماء من زبرجد أخضر قد طلعت فيها نجوم من عقيق أحمر.

ووجه الشبه في هذا التشبيه: الهيئة الحاصلة من اجتماع لونين أخضر غالب وأحمر قد غطى بعضه.

والغرض من هذا التشبيه: استطراف المشبّه لإبرازه في صورة الممتنع عادة.

١٠- شبّه الشاعر في هذين البيتين مَنْ يهجوه حين يحصل على الغنى بالكلب وقع على جيفة وهو شديد الحرص عليها.

ووجه الشبه: شدة حرص كل واحد منهما على ما وقع له وخوفه أن يذهب عنه.

والغرض من هذا التشبيه: تقبيح المشبّه في عين السامع.

١١- شبّه الشاعر في هذا البيت الورد النابت في شط الخليج بالرَّمَد الذي نزل بعين زرقاء.

ووجه الشبه في هذا التشبيه: الهيئة الحاصلة من وجود لونٍ أحمر فوق لون أزرق.

والغرض من هذا التشبيه: تقبيح المشبّه في عين السامع.

تمرين

بيّن أداة التشبيه وطرفيه، مع بيان الغرض من التشبيه في كل تشبيه من التشبيهات الآتية:

١ – قال ابن الرومي:

وكـــم أبٍ قد علا بابْـــنٍ ذُرَا شرف   كـــما عـــلا برســـول الله عدنـــانُ

٢ – وقال أبو العلاء المعري يصف الشيب والشباب:

خبِّريني ماذا كرهت من الشَّيـــــ   ـــب فلا عِلـــم لي بذنْب المشـــيب

أضيـــاءُ النهـــار، أم وَضَـــح اللؤ   لـــؤ، أم كَوْنَـــه كثغْـــرِ الحبيب ؟

واذكـــري لي فضل الشـــباب وما   يجمع من منظـــر يـــرُوقُ وَطِيبِ ؟

غَـــدْرَهُ بالخليـــل، أم حُبَّـــهُ للغيّ   أم أنـــه كعيـــش الأديـــب ؟

٣– وقال أبو الطيب المتنبي:

أرى كلَّ ذي جُـــود إليـــكَ مصيره   كأنَّـــك بحـــرٌ والملـــوك جداول

٤ – وقال النابغة الذبياني:

كأنَّك شـــمسٌ والملـــوك كواكبٌ   إذا طَلَعـــتْ لم يَبْد منهـــنَّ كوكب

٥ – وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

أمـــن أمِّ أوفى دمنـــة لم تكلَّـــم   بحَومانـــة الـــدرَّاج فالمتثلَّـــم

ودار لهـــا بالرقمتـــين كأنهـــا   مراجع وَشْـــمٍ في نـــواشرِ معصم

٦ – وقال سَلْم الخاسر:

فأنـــت كالدهـــر مبثوثـــاً حبائله   والدهـــر لا ملجأ منـــه ولا هرب

ولو ملكــت عنان الريــح أصرفها في كل ناحيــة مــا فاتــك الطلب

٧- وقال عدي بن الرقاع العاملي:

وكأنهــا بــين النســاء أعارهــا عينيــه أحور مــن جَآذر جاســم

وَسْــنان أقصده النعــاس فرنَّقت في عينــه سِــنَةٌ وليــس بنائــم

٨- وقالت الخنساء:

كأن عينِــي لذكــراهُ إذا خَطَــرَت فَيْضٌ يســيل على الخدَّيــن مدرار

٩- وقال القاضي التنوخي:

وكأن الســماء خيمــة وَشْي وكأنَّ الجــوزاءَ فيهــا شراعُ

١٠- وقال ابن طباطبا العلوي:

أمــا والثريَّــا والهــلال جَلَتْهُــما لِيَ الشــمس إذ ودَّعْتُ كَرْهاً نهارَها

كأســماء إذ زارت عشــياً وغادرت دلالا لدينــا قُرْطَهــا وَسِــوَارهَا

تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين:

وينقسم التشبيه -باعتبار الطرفين المشبّه والمشبّه به- إلى أربعة أقسام:

لأنه إما **تشبيه مفرد بمفرد**، وهما:

إما غير مقيدين، كتشبيه الخد بالورد.

وإما مقيدان: كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على طائل: «هو كالراقم على الماء»، فالمشبّه هو الساعي المقيد بأن لا يحصل من سعيه على شيء، والمشبّه به الراقم المقيد بكون رقمه على الماء؛ لأن وجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه، وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين.

وإما مختلفان: أحدهما مقيد، والآخر غير مقيد، كقوله:

والشمس كالمرآة في كفِّ الأشل

فالمشبّه به -أعني المرآة- مقيد بكونها في كف الأشل، بخلاف المشبّه -أعني الشمس-، وكعكسه: أي تشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس، فالمشبّه مقيد دون المشبّه به.

وإما **تشبيه مركب بمركب**: بأن يكون كلّ من الطرفين كيفيةً حاصلة من مجموع أشياء قد تضامّتْ وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً، كما في بيت بشار:

كأنَّ مُثَـــار النَّقْــع فوق رؤوســـنا ... وأســـيافَنا ليـــلٌ تَهَـــاوَى كَوَاكِبُهْ

على ما سبق تقريره.

وإما **تشبيه مفرد بمركب**، كما مر من تشبيه الشقيق، وهو مفرد، بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد، وهو مركب من عدة أمور.

والفرق بين المركب والمفرد المقيد أحوج شيء إلى التأمل، فكثيراً يقع الالتباس.

وإما **تشبيه مركب بمفرد**، كقول أبي تمام:

يــا صاحبـــيّ تَقَصَّيَــا نظريكُـــما تريــا وُجُوهَ الأرض كيـــف تَصَوَّر
تريـــا نهـــاراً مُشمِســـاً قد شـــابه زهـــر الرُّبـــى فكأنـــما هـــو مُقْمِر

وقوله: (تقصيا نظريكما) في «الأساس»: تقصيته -أي: بلغت أقصاه-، أي اجتهدا في النظر وأبْلغا أقصى نظريكما، وقوله: (تصور) أي تَتَصوّر -حذفت التاء- يقال: صوَّره الله في صورة حسنة فتصوَّر، وقوله: (مشمسا) أي: ذا شمس لم يسترها غيم، و(قد شابه) أي خالطه، و(زهر الربى) خصَّها لأنها أنضر وأشد خضرة ولأنها المقصود بالنظر (فكأنما هو) أي: ذلك النهار المشمس الموصوف، (مقمر) أي: ليل ذو قمر؛ لأن الأزهار باخضرارها قد نقصت من ضوء الشمس، حتى صار يضرِب إلى السواد، فالمشبّه مركّب، والمشبّه به مفرد، وهو (مقمر).

تقسيم التشبيه إلى ملفوف ومفروق:

وينقسم التشبيه -باعتبار الطرفين أيضاً- إلى أربعة أقسام:

الأول: التشبيه الملفوف.

والثاني: التشبيه المفروق.

والثالث: تشبيه التسوية.

والرابع: تشبيه الجمع.

وذلك لأنه إما أن يتعدد طرفاه جميعاً، وإما أن يتعدّد أحدهما:

فإن تعدّد الطرفان جميعاً، فإما أن يؤتى أولاً بالمشبّهات على طريق العطف أو غيره، ثم بالمشبّه به كذلك، كقول امرئ القيس يصف العُقَاب بكثرة اصطياد الطيور:

كأَنَّ قُلُوبَ الطّيْرِ رَطْباً ويابِساً   لَدَى وكْرِهَا العُنّابُ والحَشَفُ البَالِيّ

يريد: كأن قلوب الطير رطباً بعضها ويابساً بعضها، والوكر: العش، و(الحشف): هو أردأ التمر.

شبّه الرطبَ الطري من قلوب الطير بالعنَّاب؛ واليابس العتيق منها بالحشف البالي، إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتدّ بها ويقصد تشبيهها، إلا أنه ذكر أولا المشبَّهَين ثم المشبّه بهما على الترتيب، ويسمى هذا النوع: **التشبيه الملفوف.**

وإما أن يؤتى بمشبه ومشبه به، ثم آخر وآخر ، كقول المرقَّش:

النّشْرُ مسْكٌ، والوُجُوهُ دَنَا   نِير، وأطْرَافُ الأكف عَنَمْ

(النشر) أي: الطيب والرائحة، وقوله: (وأطراف الأكف) روي (وأطراف البنان)، و(عنم): هو شجر أحمر لين، ويسمى هذا النوع: **التشبيه المفروق.**

وإن تعدد طرفه الأول -يعني المشبّه- دون الثاني، يسمى: **تشبيه التسوية،** كقوله:

صَدْغ الحبِيبِ وَحَالي   كِلَاهُمَا كالّليالي

وإن تعدد طرفه الثاني - يعني المشبّه به - دون الأول، يسمى: **تشبيه الجمع،** كقول البحتري:

بَـــاتَ نَدِيـــماً لِيَ حتـــى الصبـــاحْ   أغْيَـــدُ مَجْدُولُ مـــكانِ الوِشَـــاحْ
كأنـــما يَبْسِـــمُ عـــن لؤلـــؤٍ   مُنضَّـــد أو بَـــرَدٍ أو أَقـــاح

(الأغيد) أي: الناعم البدن، و(اللؤلؤ المنضد): المنظم، و(البرد): حب الغمام، و(أقاح): جمع أقحوان، وهو ورد له نَوْر، شبَّه ثغره بثلاثة أشياء.

تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل:

وينقسم التشبيه -باعتبار وجهه- إلى تمثيل وغير تمثيل:

فالتمثيل: التشبيه الذي وجهه وصف منتزع من متعدد -أي منتزع من أمرين أو أمور- كما مر من تشبيه الثريا، وتشبيه مثار النقع مع الأسياف، وتشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، وغير ذلك.

وقيّده «السكاكي» بكونه غير حقيقي، حيث قال: التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي وكان منتزعاً من عدة أمور خُصَّ باسم التمثيل، كما في تشبيه مَثَل اليهود بمثل الحمار، فإنَّ وجه الشبه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع الكدِّ والتعب في استصحابه، فهو وصف مركب من متعدد، وليس بحقيقي، بل هو عائد إلى التوهم.

وغير التمثيل بخلاف ما ذكرنا، نعني ما لا يكون وجهه منتزعاً من متعدد، وعند «السكاكي»: ما لا يكون منتزعاً من متعدد، أو يكون منتزعاً من متعدد، لكنه لا يكون وهمياً أو اعتبارياً، بل يكون حقيقياً حِسّياً أو عقلياً، فتشبيه الثريا بالعنقود المنور تمثيل عند الجمهور دون «السكاكي».

تقسيم التشبيه إلى مجمل ومفصل:

وينقسم التشبيه -باعتبار وجه الشبه أيضاً- إلى قسمين:

الأول: المجمل، **والثاني:** المفصل.

أما **المجمل** فهو: ما لم يُذْكر وجهه.

ثم إنَّ من المجمل، أو من الوجه غير المذكور، ما هو ظاهر يفهمه كل أحد ممن له مَدْخل في ذلك، نحو: (زيد كالأسد)، ومنه خفي لا يدركه إلا الخاصة، كقول بعضهم -قد ذكر الشيخ «عبد القاهر» أنه قول مَنْ وَصَفَ بني المهلب للحجاج لما سأله عنهم، وذكر «جار الله» أنه قول الأنمارية فاطمة بنت الخُرْشُب-، وذلك أنها سئلت عن بنيها: أيهم أفضل ؟ فقالت: عمارة، لا بل فلان، لا بل فلان، ثم قالت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل (هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها) أي: هم متناسبون في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً، وبعضهم أفضل منه، كما أنها -أي الحلقة المفرغة- متناسبة الأجزاء في الصورة يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً؛ لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كالدائرة.

ومن المجمل أيضاً: ما لم يذكر فيه وصف أحد الطرفين، نعني الوصف الذي يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه نحو: (زيد أسد).

ومنه ما ذكر فيه وصف المشبّه به وحده -أي الوصف المشعر بوجه الشبه- كقولها: (هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها).

ومنه ما ذكر فيه وصفهما -أي المشبّه والمشبّه به كليهما- كقوله:

صَدَفْتُ عَنْه وَلَم تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عنِّـي، وعَــاوده ظَنِّي فَلَــمْ يَخِبِ

كالغيثِ إنْ جئْتَهُ وافَاكَ رَيِّقُه وإنْ تَرَحَّلْتَ عنه لجّ في الطّلبِ

(صدفتُ) أي: أعرضتُ عنه، (وافاك) أي: أتاك، (ريقه) يقال: فَعَلَهُ في روق شبابه وريقه، أي أوله، وأصابه ريق المطر، وريق كل شيء: أفضله.

وصفَ المشبّه -أعني الممدوح- بأن عطاياه فائضة عليه، أعرض عنه أو لم يعرض، وكذا وصف المشبّه به - أعني الغيث- بأنه يصيبك جئته أو ترحَّلت عنه، والوصفان مشعران بوجه الشبه، أعني الإفاضة في حالتي الطلب وعدمه، وحالتي الإقبال والإعراض عنه.

وأما المفصل فهو: ما ذكر فيه وجه الشبه كقوله:

وثَغْرُهُ في صَفَاءٍ وأدْمُعِي كاللآلِي

وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانَهُ: أي بأن يذكر مكانَ وجه الشبه ما يستلزمه، أي يكون وجه الشبه تابعاً له لازماً في الجملة، كقولهم للكلام الفصيح: (هو كالعسل في الحلاوة) فإنَّ وجه الشبه في هذا التشبيه: لازم الحلاوة، وهو ميل الطبع؛ لأنه المشترك بين العسل والكلام، لا الحلاوة التي هي من خواصّ المطعومات.

تقسيم التشبيه إلى قريب وبعيد:

وينقسم التشبيه -باعتبار وجه الشبه أيضاً- إلى قسمين:

الأول: القريب المبتذل، **والثاني**: الغريب.

فأما **القريب المبتذل** فهو: ما ينتقل فيه من المشبّه إلى المشبّه به من غير تدقيق نظر؛ لظهور وجهه في بادئ الرأي[1].

---

(١) باديء الرأي: يجوز أن يكون معناه ظاهر الرأي، وذلك إن جعلته مأخوذاً من (بدا الأمر يبدو) أي: ظهر، ويجوز أن يكون معناه أول الرأي، وذلك إن جعلته مأخوذاً من بدأ يبدأ -بالهمزة- أي جعل الشيء مبدوءاً به.

وظهور وجهه في باديء الرأي يكون لأمرين:

أولهما: أن يكون ذلك لكونه أمراً جُمْلِيًّا لا تفصيل فيه، فإن الجملة أسبق إلى النفس من التفصيل، ألا ترى أن إدراك الإنسان من حيث إنه شيء أو جسم أو حيوان أسهل وأقدم من إدراكه من حيث إنه جسمٌ نامٍ حساسٌ متحرِّك بالإرادة ناطقٌ.

وثانيهما: أن يكون ذلك لكون وجه الشبه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبّه به في الذهن:

إما **عند حضور المشبّه** لقرب المناسبة بين المشبّه والمشبّه به؛ إذ لا يخفى أن الشيء مع ما يناسبه أسهل حضوراً منه مع ما لا يناسبه، كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز في المقدار والشكل، فإنه قد اعتُبر في وجه الشبه تفصيل ما ، أعني المقدار والشكل، إلا أن الكوز غالب الحضور عند حضور الجرة.

وإما **مطلقاً**. ثم غلبة حضور المشبّه به في الذهن مطلقاً تكون لتكرر المشبّه به على الحِسّ، فإن المتكرِّر على الحِسّ كصورة القمر غيرَ منخسف، أسهلُ حضوراً مما لا يتكرَّر على الحِسّ، كصورة القمر منخسفاً، وذلك كتشبيه الشمس بالمرآة المجلوَّة في الاستدارة والاستنارة، فإن في وجه الشبه تفصيلاً ما، لكن المشبّه به -أعني المرآة- غالب الحضور في الذهن مطلقاً.

وإنما كانت قلة التفصيل في وجه الشبه -مع غلبة حضور المشبّه به بسبب قرب المناسبة أو التكرار على الحِسّ- سبباً لظهوره المؤدي إلى الابتذال، مع أن التفصيل من أسباب الغرابة؛ لأن قرب المناسبة في الصورة الأولى والتكرار على الحِسّ في الثانية يعارض كلٌّ منهما التفصيلَ، بواسطة اقتضائها سرعة الانتقال من المشبّه إلى المشبّه به، فيصير وجه الشبه كأنه أمر جُمْلي لا تفصيل فيه، فيصير

سبباً للابتذال.

وأما **البعيد الغريب** فهو: ما لا ينتقل فيه من المشبّه إلى المشبّه به إلا بَعد فِكرٍ وتدقيقِ نَظَرٍ؛ لخفاء وجهه في باديء الرأي، وذلك -أعني عدم الظهور-:

إما لكثرة التفصيل، كقوله:

والشمس كالمرآة في كف الأشل

فإن وجه الشبه فيه من التفصيل ما قد سبق، ولذا لا يقع في نفس الرائي للمرآة الدائمة الاضطراب إلا بعد أن يستأنف تأمّلاً، ويكون في نظره متمهِّلاً.

وإما لندور حضور المشبّه به:

إما عند حضور المشبّه لبُعد المناسبة، كما مرَّ في تشبيه البنفسج بنار الكبريت، وإما مطلقاً.

وندور حضور المشبّه به مطلقاً يكون لأحد أمور أربعة:

إما لكونه وهمياً ، كأنياب الأغوال.

أو مركباً خيالياً ، كأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد.

أو مركباً عقلياً ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

أو لقلة تكرّر المشبّه به على الحس، كقوله:

والشمس كالمرآة في كف الأشل

فإن الرجل ربما ينقضي عمره ولا يتَّفق له أن يرى مرآة في يد الأشل، فالغرابة في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل من وجهين:

أحدهما: كثرة التفصيل في وجه الشبه. **والثاني**: قلة التكرار على الحس.

فإن قلت: كيف تكون ندرة حضور المشبّه به سبباً؛ لعدم ظهور وجه الشبه ؟.

قلت: لأنه فَرْع الطرفين، والجامع المشترك بينهما إنما يطلب بعد حضور الطرفين، فإذا نَدَر حضورهما ندر التفات الذهن إلى ما يجمعهما، ويصلح سبباً للتشبيه بينهما.

والمراد **بالتفصيل** أن ينظر في أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر، بمعنى أن يعتبر في الأوصاف وجودها أو عدمها أو وجود البعض وعدم البعض، وكلٌّ من ذلك في أمر واحد أو أمرين أو ثلاثة، أو أكثر.

ويقع التفصيل على وجوه كثيرة: أعْرَفُها -أي: أحسنها وأشدها قبولا عند ذوي المعرفة- وجهان:

أحدهما: أن تأخذَ بعضاً من الأوصاف وتدَعَ بعضاً، على معنى أن تعتبر[١] وجود بعضها، وتعتبر -مع ذلك- عدم بعضها ، كما في قول امرئ القيس:

حَمَلْتُ رُدينيّاً كَأَنَّ سِنَانَهُ ... سَنَا لَهَبٍ لم يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

(ردينيا): يعني رمحاً منسوباً إلى رُدَينة، وقوله: (كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان): اعتبر في اللهب الشكل واللون واللمعان، وترك الاتصال بالدخان ونفاه[٢].

وثانيهما: أن تعتبر الجميع كما مر في تشبيه الثريا بعنقود الملاحية المنورة باعتبار اللون والشكل وغير ذلك.

وكلما كان التركيب -سواء أكان خيالياً أم عقلياً- من أمور أكثر كان التشبيه أبعد؛ لكون تفاصيله أكثر.

---

(١) يريد أنه ليس معنى قولك: «أن تدع بعضاً» أنك تسقط هذا البعض وتعرض عنه ألبتة، إذ لو كان كذلك لما كان وجه الشبه إلا ذلك الذي أخذته، ويكون ما تركته كالعدم.

(٢) معنى نفاه: اعتبر عدم وجوده، وهو عطف تفسير على (ترك).

والتشبيه البليغ ما كان من البعيد الغريب دون القريب المبتذل؛ لكون هذا الضرب غريباً غير مبتذل، ولأن نيل الشيء بعد طلبه ألذ، وموقعه في النفس ألطف، وإنما يكون البعيد الغريب بليغاً حسناً إذا كان سببه لُطْفَ المعنى ودقته، أو ترتيب بعض المعاني على بعض، وبناء ثان على أول، ورَدّ تالٍ إلى سابق، فيحتاج إلى نظر وتأمل.

التشبيه المشروط:

وقد يتصرف في التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريباً، ويخرجه عن الابتذال كقوله:

لَمْ تَلْقَ هذا الوَجْه شمسُ نهارِنا ... إلا بوجهٍ ليسَ فيه حياء

فتشبيه الوجه بالشمس مبتذل، إلا أن حديث الحياء وما فيه من الدقة والخفاء أخرجه إلى الغرابة، وقوله: (لم تلق) إن كان مِن: (لقيته) بمعنى: أبصرته فالتشبيه مكني غير مصرح به، وإن كان مِن (لقيته) بمعنى: قابلته وعارضته فهو فعل ينبِئ عن التشبيه، أي: لم تقابله في الحسن والبهاء، إلا بوجه ليس فيه حياء.

ومنه قول المتنبي:

عزَماتُه مثلُ النجوم ثَوَاقِباً ... لو لم يكن لِلثّاقِباتِ أفُولُ

(ثواقباً) أي: لوامعاً، فتشبيه العزم بالنجم مبتذل، إلا أن اشتراط عدم الأفول أخرجه إلى الغرابة.

ويسمى مثل هذا التشبيه (**التشبيه المشروط**)؛ لتقييد المشبّه أو المشبّه به، أو كليهما، بشرط وجودي أو عدمي، يدلّ بصريح اللفظ أو بسياق الكلام.

التشبيه مؤكد أو مرسل:

وينقسم التشبيه -باعتبار أداته- إلى قسمين:

الأول: التشبيه المؤكد.

الثاني: التشبيه المرسل.

أما **التشبيه المؤكد** فهو ما حذفت أداته، مثل قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] أي: مثل مر السحاب.

ومن المؤكد ما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه بعد حذف الأداة، نحو قوله:

والرِّيحُ تَعْبَثُ بالغُصُونِ وَقَدْ جرَى ... ذَهَبُ الأصِيلِ على لُجَيْنِ الماء

(تعبث بالغصون) أي: تميلها إلى الأطراف والجوانب، و(الأصيل): هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، ويُعَدُّ من الأوقات الطيبة كالسَّحَر، ويوصف بالصفرة كقوله:

ورُبَّ نَهارٍ للفراق أصيلهُ ... وَوَجْهِي كِلَا لَوْنَيْهِما مُتَنَاسِبُ

فذهب الأصيل: صُفرته، وشعاع الشمس فيه، وقوله: (لجين الماء) أي: ماء كاللجين، أي الفضة في الصفاء والبياض، فهذا تشبيه مؤكد.

ومن الناس من لم يميز بين لُجين الكلام ولَجينه، ولم يعرف هجانه من هجينه، حتى ذهب بعضهم إلى أن اللجين إنما هو بفتح اللام وكسر الجيم -يعني الورق الذي سقط من الشجر-، وقد شبه به وجه الماء، وبعضهم إلى أن الأصيل هو الشجر الذي له أصل وعروق، وذهبه ورقه الذي اصْفَرَّ ببرد الخريف وسقط منه على وجه الماء. وفساد هذين الوجهين غني عن البيان.

وأما **المرسل** فهو بخلاف المؤكد، أي: ما ذُكِرَت أداتُهُ فصار مرسلا عن التأكيد المستفاد من حذف الأداة، المشعِرِ -بحسب الظاهر- بأن المشبّه عين المشبّه به، كما مرَّ من الأمثلة التي ذكرت فيها أداة التشبيه.

التشبيه إما مقبول أو مردود:

وينقسم التشبيه -باعتبار الغرض منه- إلى قسمين:

الأول: المقبول.

والثاني: المردود.

فأما **المقبول** فهو: الوافي بإفادة الغرض، كأن يكون المشبّه به أعرَفَ شيءٍ بوجه التشبيه في بيان الحال، أو كأن يكون المشبّه به أتم شيء في وجه التشبيه في إلحاق الناقص بالكامل، أو كأن يكون المشبّه به مسلم الحكم في وجه التشبيه معروفه عند المخاطب في بيان الإمكان.

وأما **المردود** فهو: ما يكون قاصراً عن إفادة الغرض، بأن لا يكون على شرط المقبول الذي سبق ذكره.

خاتمة

في تقسيم التشبيه بحسب القوة والضعف في المبالغة، باعتبار ذكر الأركان وتركها.

وقد سبق أن الأركان أربعة، والمشبّه به مذكور قطعاً، فالمشبّه إما مذكور أو محذوف، وعلى التقديرين فوجه الشبه إما مذكور أو محذوف، وعلى التقديرات الأربعة فالأداة إما مذكورة أو محذوفة، تصير ثمانية.

وقبل أن نبيِّن أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة -إذا كان اختلاف المراتب وتعددها باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها، وهو ما قصدنا إلى بيانه في هذا البحث-، نذكر لك أن اختلاف مراتب التشبيه باعتبارات متعددة:

فقد يكون اختلاف مراتب التشبيه باعتبار اختلاف المشبّه به، نحو: (زيد كالأسد)، و(زيد كالذئب في الشجاعة).

وقد يكون باختلاف الأداة، نحو: (زيد كالأسد) و(كأن زيداً الأسد).

وقد يكون باعتبار ذكر الأركان كلها أو بعضها، فإن ذَكَرَ الجميع فهو أدنى المراتب، وإن حذف الوجه والأداة فأعلاها، وإلا فمتوسط.

فأعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة -إذا نظرت إلى اختلاف المراتب من جهة ذكر أركانه كلها أو بعضها- هو: ما حُذِف وجهه وأداته فقط، نحو: (زيد أسد)، أو مع حذف المشبّه، نحو: (أسد) في مقام الإخبار عن زيد.

ثم الأعلى -بعد هذه المرتبة- ما حذف وجهه أو أداته كذلك، أي: فقط، أو مع حذف المشبّه، نحو: (زيد كالأسد)، ونحو (كالأسد) عند الإخبار عن زيد، ونحو: (زيد أسد في الشجاعة)، ونحو: (أسد في الشجاعة) عند الإخبار عن زيد.

ولا قوة لغيرهما، وهما الاثنان الباقيان؛ أعني ذكر الأداة والوجه جميعاً: إما مع ذكر المشبّه، أو بدونه، نحو: (زيد كالأسد في الشجاعة) ونحو: (كالأسد في الشجاعة) خبراً عن زيد.

وبيان ذلك أن القوة لها سببان:

أحدهما: عمومُ وجهِ الشبه ظاهراً.

وثانيهما: حَمْل المشبّه به على المشبّه وإظهار أنه هو، فما اشتمل على الوجهين جميعاً فهو غاية القوة، وما خلا عنهما جميعاً فلا قوة له، وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط، والله أعلم.

تطبيقات

١- التطبيق الأول:

بيّن طرفي التشبيه ووجْه الشبه، وبيِّن الحِسّي منها ونوعه، والعقلي ونوعه، في كل تشبيه من التشبيهات الواقعة في الأبيات الآتية:

١- قال أبو الطيب المتنبي:

يا مـــن يعـــزُّ علينـــا أن نفارقهم   وجدانُنَـــا كلَّ شيء بعدكـــم عَدَمُ

٢- وقال أبو الحسن الأنباري يرثي مصلوباً:

عُلُـــو في الحيـــاة وفي المـــات   لحـــقٌّ أنـــت إحـــدى المعجزات
كأنَّ النـــاسَ حولك حـــين قاموا   وُفـــودُ نـــداك أيّـــامَ الصِّـــلات
كأنـــك قائـــم فيهـــم خطيبـــاً   وكلـــهم قـــيام للـــصَّـــلاة

٣- وقال أبو نواس:

قمـــرٌ كأنّ بعارِضَيْـــه كليهـــا   مِســـكاً تســـاقط فـــوقَ وَرْد أحمرِ

٤- وقال أبو الفتح كشاجم:

فَدَيْـــتُ زائـــرةً في العيـــد واصلةً   لمســـتهام بهـــا للوصـــل مُنتظِـــرِ
فلم يـــزل خدُّهـــا ركناً ألـــوذ به   والخال في صحنه يغنـــي عن الحَجَرِ

٥- وقال آخر:

بكَـــتْ وبكيـــتُ لِوَشْـــكِ الفراق   فَقِـــفْ تَرَ مـــن مَدْمَعَيْنَـــا العَجَبْ
فـــذا فضَّـــة في عقيـــق جـــرى   وهـــذا عقيـــقٌ جـــرى في ذَهَـــبْ

٦- وقال آخر:

أخٌ لي كأيــام الحيــاة إخــاؤه   تَلَـــوَّنُ ألوانــاً عــليَّ خُطُوبُهــا
إذا عِبْـــتُ منــه خلّــةً فَهَجَرْتُــهُ   دَعَتْنِـــي إليــه خُلّــةٌ لا أعِيبُهَــا

٧- وقال بشار بن برد:

خليـــليَّ إنّ العُـــسْرَ ســـوف يُفِيقُ   وإن يَسَـــاراً في غَــدٍ لَـــخَلِيقُ
ومـــا أنـــا إلا كالزمـــان: إذا صَحَا   صَحَوْتُ، وإن ماقَ الزمـــانُ أمُوقُ

٨- وقال الأعشى ميمون:

ومن يَغْتَرِبْ عن قومـــه لم يزل يَرَى   مَصَـــارِعَ مَظْلُـــومٍ مُجَرّاً ومُسْـــحَبَا
وتُدْفَنُ منه الصالحاتُ، وإن يُسِـــئ   يَكُن ما أســـاء النار في رَأسِ كبْكَباً

٩- وقال أعرابي:

لـــولا بُنيَّـــات كزُغْـــبِ القطـــا   حُطِطـــن مـــن بعـــض إلى بعض
لـــكان لي مضطـــربٌ واســـع   في الأرض ذات الطـــول والعرض
وإنـــمـــا أولادنـــا بيـنـنـــا   أكبادُنـــا تمـــشي عـــلى الأرض

الجواب

١- شبّه أبو الطيب المتنبي في هذا البيت وجودَ كل شيء بعد مفارقة أحبابه بالعدم، بجامع عدم الانتفاع بما يجده.

فالمشبّه هو: وجود الشيء أي شيء كان بعد فراقهم.

والمشبّه به: العدم.

ووجه الشبه: عدم الحصول على نفع مرجُوٍّ، أو فائدة يصح أن يتطلبها.

وكل من الثلاثة، المشبّه والمشبّه به ووجه الشبه، عقلي.

٢- الوفود: جمع وَفْد، وهو الجماعة الوافدون عليه والطارئون على بابه، والنَّدى: العطاء، والصِّلَات -بكسر الصاد-: جمع صِلَة وهي: العطية، والصَّلَاة -بفتح الصاد- هي: هذه الصلاة التي هي أحد أركان الإسلام.

وفي البيت الثاني من هذه الأبيات الثلاثة تشبيه:

المشبّه فيه: الناس القائمون حول الخشبة التي صُلِب عليها المرثيّ.

والمشبّه به: الوفود التي كانت ترد عليه في أيام حياته تلتمس عطاءه وترتجي حباءه، وكل من المشبّه والمشبّه به حِسّي.

ووجه الشبه: الكثرة والتزاحم حول المرثيّ.

وفي البيت الثالث تشبيه آخر:

المشبّه فيه: حال المرثي في ارتفاعه مع حال النظارة، والواقفين عليه في اتجاههم نحوه وانخفاض موضعهم عنه.

والمشبّه به: حال خطيب قام يخطب الناس وهم وقوف ينتظرون الصلاة.

ووجه الشبه: الهيئة المؤلفة من واحد واقف في مكان مرتفع وجماعات

كثيرة العدد في مكان أسفَلَ من مكانه.

وكل من الثلاثة ، المشبّه والمشبّه به ووجه الشبه، مركب حِسّي.

٣- العارضان: تثنية العارض، وهو جانب الخد.

والمشبّه في هذا البيت: فتى نبت شعر لحيته في خده، أو فتاة في وجهها خال، وهو: نكتة سوداء تَسْتَمْلِحُ العربُ وجودَها.

والمشبّه به: الورد الأحمر الذي يتساقط عليه فُتَاتُ المسك.

ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من تساقط أجرام سُودٍ صغيرةِ المقادير فوق جرم أحمر نقي اللون.

وكل من المشبّه والمشبّه به مما تدرك مادته بالبصر، فهو حِسّي، ووجه الشبه مركب حِسّي.

٤- المستهام: الشديد المحبة، والركن: ركن البيت الحرام، وألوذ به:ألجأ إليه، والخال: نكتة سوداء تكون في وجه الحِسان يستمْلِحُها العرب، والحجر: أراد به الحجرَ الأسود الموضوع في ركن من أركان الكعبة، وتقبيله أو وضع اليد عليه من سنن الطواف بالبيت الحرام.

شبّه الشاعر في هذين البيتين خد هذه الفتاة مع ما فيه من الخال بركن البيت الحرام والحجر الأسود، بجامع أن كلا منهما مما يلجأ إليه ويرغب في الدنو منه، ويلتمس تقبيله أو وضع اليد عليه.

والمشبّه هو: الهيئة الحاصلة من وجود الخد والنكتة السوداء في صفحته.

والمشبّه به: الهيئة الحاصلة من وجود الركن في البيت المحرم والحجر الأسود المندوب إلى تقبيله ومَسَّه، وقد بَيّنَّا وجه الشبه.

٥- في البيت الثاني من هذين البيتين تشبيهان:

الأول منهما:

المشبّه فيه: دمع المحبوبة وقد جرى على خدها.

والمشبّه به: الفضة الذائبة وهي تجري فوق صفحة من عقيق.

ووجه الشبه: اجتماع جرم أبيض سائل فوق جرم أحمر.

كل من الثلاثة، المشبّه والمشبّه به ووجه الشبه، مركب حِسّي.

والتشبيه **الثاني**:

المشبّه فيه: دمع المتكلم وقد جرى فوق صفحة خدِّه.

والمشبّه به: فيه العقيق الذائب يجري فوق صفحة من ذهب.

ووجه الشبه: فيه اجتماع جرم أحمر سائل فوق جرم أصفر.

وكل من الثلاثة، المشبّه والمشبّه به ووجه الشبه، مركب حِسّي.

٦- تَلَوَّنُ: أصله: تَتَلَوَّن، فحذف إحدى التاءين، والمراد أنها تتغير من حال إلى حال، تارة تأتي بما يرتضيه، وتارة تأتي بما يكرهه ويعيبه. والخطوب: جمع خَطْب، وهو الشأن العظيم، والخَلَّة -بفتح الخاء وتشديد اللام-: الخصلة والشيمة والسجيَّة.

وفي هذين البيتين شبه الشاعر إخاء صديقه بأيام الحياة التي تتلون وتتغير شؤونها، فتارة تأتي بما يؤنسه فيسرُّه ذلك منها، وتارة تأتي بما يوحشه فيألم لذلك منها ويعيبه.

والمشبّه مفرد حِسّي وهو: إخاء الصديق ووداده.

والمشبّه به: أيام الحياة التي تتلون وتتغير وتأتي تارة بما يسر وتارة أخرى بما يسوء، وهو مفرد أيضاً.

ووجه الشبه بينهما: التقلب وعدم الاستقرار على حالة واحدة، فتارة يأتي بما يدعو إلى الرضا عنه والإقبال عليه، وتارة يأتي بما يستوجب أن يعاب وينفر منه.

٧- خليق: جدير، وحقيق، وحرِيّ، كلّ ذلك بمعنى واحد، وماق يموق: حَمُقَ في غباوة.

وفي البيت الثاني من هذين البيتين تشبيه:

المشبّه فيه: المتكلم.

والمشبّه به: الزمان.

ووجه الشبه بينهما: التقلب وتغير الأحوال حالاً بعد حال، فتارة يكون في ضيق وعسر، وتارة يكون في رخاء ويسر.

٨- كبكب: اسم جبل، وفي البيت الثاني من هذين البيتين تشبيه:

المشبّه فيه: إساءة الرجل الغريب عن أهله ووطنه.

والمشبّه به فيه: النار وقد أوقدت فوق قمة جبل عال، وكلاهما حِسّي.

ووجه الشبه بينهما: الذيوع والانتشار بين الناس والشهرة.

يريد أن غير أهل الرجل لا يسترون عليه، ولا يخفون شيئاً من معايبه.

٩- الزُّغب -بضم الزاي وسكون الغين-: جمع زَغْباء، وهي التي نبت زَغَبُه، والزَّغَبُ: أوّلُ ما يظهر من ريش الطائر، والقطا: طائر قريب الشبه بالحمام، بُنيّات: جمع بُنيّة، وهو تصغير بنت.

وفي البيت الأول من هذه الأبيات الثلاثة تشبيه:

المشبّه فيه: بنات الشاعر الصغار.

والمشبّه به: فراخ القطا التي بدأ ريشها ينبت، وكلاهما حِسّي.

ووجه الشبه بينهما: الضعف وعدم القدرة على الاستقلال.

٢- التطبيق الثاني

بيِّن طرفي التشبيه ووجه الشبه، وبيّن منها المفرد والمركب، وما هو بمنزلة المفرد، في كل تشبيه من التشبيهات الواردة في العبارات الآتية:

١- قال الأحوص:

إني إذا خَفِيَ الرجال وجَدْتَنِي   كالشمس لا تَخْفَى بكُلِّ مَكَانِ

٢- وقال الطرماح بن حكيم:

لقد زادني حباً لنفسيَ أنّني   بغيضٌ إلى كلِّ امرئ غير طائلِ

إذا ما رآني قَطَّعَ الطَّرف بينه   وبينِيَ فِعلَ العارِفِ المتجاهلِ

ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها   من الضيق في عينيه كِفّةُ حَابِلِ

٣- وقال الشاعر:

نَزَلْتُ على آل المهلّب شاتيا   غريباً عن الأوطان في زمنٍ مَحْلِ

فما زال بي إكرامهم واقتفاؤهم   وإلطافهم حتى حسبتهم أهلي

٤- وقال عقيل بن عُلّفة يرثي:

كأنَّ المنايا تبتغي في خيارنا   لها تِرة أو تهتدي بدليل

٥- وقال السموأل بن عادياء يفتخر:

ونحن كماء المزن، ما في نصابنا   كَهَامٌ ولا فينا يُعَدّ بخيلُ

٦- وقال الأبِيوَرْدِيّ:

كلماتي قلائد الأعناق   سوف تَفْنَى الدهور وهي بَوَاقِ

٧- وقال البحتري يمدح:

وأشْرَقَ عن بِشْرٍ هُوَ النور في الضُّحَا وَصَافَى بأَخْلاقٍ هي الطَّلُّ في الصُبْحِ

٨- وقال ابن دريد:

يــا ظبيــةً أشــبه شيء بالــمَهَا ترعى الــخُزامى بين أشجار النَّقَى
إمــا تــرَيْ رأسيَ حاكــى لونــهُ طُــرَّةَ صبحٍ تحــتَ أذيــالِ الدُّجى
واشــتعل المبيــضُّ في مُســوَدِّه مِثْلَ اشــتعال النــار في جَزْل الغضا
وآض روض اللهــو يَبْســاً ذوايًا من بعد ما قــد كان مجّــاج الثرى

٩- وقال ابن المعتز:

غديــرٌ تُرجــرِجُ أمواجَــهُ هُبُــوبُ الريــاح ومَــرَّ الصَّبــا
إذا الشــمس مــن فوقــه أشرقت توهَّمتَــهُ جَوْشــناً مُذْهَبَــا

١٠- وقال المتنبي يصف أسدا:

مــا قوبلــت عينــاه إلا ظُــنَّــتا تَحْتَ الدُّجَــى نَارَ الفَرِيــقِ حُلولا

١١- وقال البحتري:

ضَحُوك إلى الأبطــال وهو يَرُوعُهمْ وللسّيفِ حَدٌّ حين يَسْــطو ورَوْنَق

١٢- وقال أبو فراس الحمداني:

ســيذكرني قومي إذا جَــدّ جِدُّهُم وفي الليلــةِ الظّلْــماء يُفْتَقَــدُ البدر

الجواب

١- في هذا البيت تشبيه:

المشبّه فيه: المتكلم وهو مفرد حِسّي.

والمشبّه به فيه: الشمس وهو مفرد حِسّي أيضاً.

ووجه الشبه بينهما: نباهة الذكر ورفعة الشأن، وهو مفرد عقلي.

٢- الحابل: الصياد، وكفّته -بضم الكاف أو كسرها وتشديد الفاء-: الحِبَالة «الشبكة».

وفي البيت الثالث من هذه الأبيات تشبيه:

المشبّه فيه: الأرض الواسعة الأطراف وقد ضاقت على عدو الشاعر بما ملأها عليه من أمارات رفعةِ شأنه وعلوِّ مقداره، مما يجلب لعدوه الغصَّة وضيق الصدر، وهو مفرد مقيد.

والمشبّه به: حِبالة الصياد وهو مفرد حِسّي.

ووجه الشبه بينهما: الضيق، وهو مفرد عقلي.

٣ - شاتياً: أراد في زمن الشتاء، والشتاء عند العرب وقت الحاجة والشدة، والمحْل -بفتح الميم وسكون الحاء-: الجدب والقحط، واقتفاؤهم: أراد به تتبعهم إياه والبحث عما يحتاجه ليؤدوه إليه.

وفي البيت الثاني من هذين البيتين تشبيه:

المشبّه فيه: آل المهلب المعبر عنهم بالضمير في قوله: (حسبتهم).

والمشبّه به: أهله، وكل من المشبّه به مفرد حِسّي كما ترى.

ووجه الشبه بينهما: العناية بأمره والاهتمام بكل شأن من شؤونه، وهو مفرد عقلي.

٤ – المنايا: جمع مَنِيّة، وهي الموت، وتبتغي: تقصد، والتِّرة: الثأر. وفي هذا البيت تشبيه:

المشبّه فيه: حال المنية في نزولها بالأخيار منهم الذين يعتمد عليهم ويلجأ إليهم في الحاجات، دون غيرهم ممن لا غَنَاء عنده.

والمشبّه به فيه شيئان: الأول: حال طالب الثأر الذي يعمد إلى مَنْ عنده ثأره ولا يطلبه عند غيره. والثاني: حال رجل يعمد فيما يريده إلى دليل يَدُلُّهُ عليه كيلا يَضلّ عنه. والمشبّه والمشبّه بهما مركبان.

ووجه الشبه بين المشبّه وكل منهما: الوصول إلى الغرض عينه من غير أن يخطئ.

٥ – النصاب: أصله مَقْبض السكين، ولكنه أراد منه هنا السيف نفسه، والكَهام -بفتح الكاف، بِزِنَةِ: السحاب-: الكليل الذي لا ينفذ في ضريبته. وفي هذا البيت تشبيه.

المشبّه فيه: قوم الشاعر الذين هو منهم.

والمشبّه به: ماء الـمُزْنِ – أي: السحاب– وكل منهما مفرد حِسّي كما ترى.

ووجه الشبه بينهما: نَقَاء الجوهر وصفاؤه، وأنه لا شائبة فيه، وهو مفرد عقلي.

٦ – الكلمات: جمع كلمة، وأراد بها ههنا قصائد المديح التي يوجهها إلى ممدوحيه، والقلائد: جمع قِلَادة، وهي حلية تلبس في العنق، وبَوَاقٍ: جمع باقية، وأراد أنها لا تفنى كما تفنى الدهور. وفي هذا البيت تشبيه:

المشبّه فيه: قصائد المديح التي يقولها الشاعر، وهو مفرد حِسّي.

والمشبّه به: القلائد المنظومة التي تحلِّي بها الحسان أعناقهن، وهو مفرد حِسّي أيضاً.

ووجه الشبه بينهما: النّفَاسة وعُلُو القيمة وبقاؤها بعد صواحبها.

٧ - البِشر -بكسر الباء-: طلاقة الوجه، والنَّوْر -بفتح النون وسكون الواو- المراد به: الزهر الأبيض، والطَّلّ -بفتح الطاء وتشديد اللام-: خفيف المطر.

وفي هذا البيت تشبيهان:

الأول منهما:

المشبّه فيه هو: بشر الممدوح وطلاقة وجهه، وهو مفرد حِسّي.

والمشبّه به هو: الزهر الأبيض في وقت الضحوة، وهو مفرد مقيد حِسّي أيضاً.

ووجه الشبه بينهما هو: أن كل واحد منهما مما يؤنس له وترتاح النفس إليه فيدعوها ذلك إلى الإقبال عليه.

والتشبيه **الثاني**:

المشبّه فيه: أخلاق الممدوح، وهو مفرد عقلي.

والمشبّه به: خفيف المطر في وقت الصبح، وهو مفرد مقيد حِسّي.

ووجه الشبه بينهما: أن مع كل منهما نفعاً لا ضرر معه.

٨ - في البيت الأول من هذه الأبيات تشبيه:

المشبّه فيه هو: الفتاة التي يتغزّل فيها الشاعر.

والمشبّه به فيه: المهاة -وهي البقرة الوحشية-.

ووجه الشبه بينهما: سعة العينين وملاحتهما، وكل واحد من المشبّه والمشبّه به، ووجه الشبه مفرد حِسّي.

وفي البيت الثاني منها تشبيه:

المشبّه فيه: شعر رأسه، وهو مفرد حِسّي.

والمشبّه به فيه: طرّة الصبح -وأراد أول نوره- تحت الدجى -وهو الليل الشديد السواد-، وهو مفرد مقيد حِسّي.

ووجه الشبه بينهما: الهيئة الحاصلة من اختلاط السواد بالبياض وهو مركب.

وفي البيت الثالث تشبيه:

المشبّه فيه: تفشِّي بياض الشعر في سوادِه.

والمشبّه به فيه: اشتعال النار في شجر الغَضَا -وهو نوع من الشجر سريع الالتهاب-، وكل من المشبّه والمشبّه به مفرد تدرك مادته بالحس.

ووجه الشبه بينهما: السرعة.

٩ - الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل، أي يتركها، وترجرج أمواجه: تحركها، والصَّبَا -بفتح الصاد-: ريح الشمال، وتوهمته: حسبته وظنته، والجوشن - بِزِنَةِ: جعفر- الدّرْعُ، ومذهب: مطليٌّ بالذهب.

وفي البيت الثاني من هذين البيتين تشبيه:

المشبّه فيه: الهيئة الحاصلة من إشراق الشمس فوق صفحة ماء الغدير.

والمشبّه به: فيه درع طُلِي بالذهب.

ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من التموج والاضطراب والاصفرار.

فالمشبّه مركب حِسّي، والمشبّه به مفرد مقيد، ووجه الشبه مركب حِسّي.

١٠ - يصف المتنبي في هذا البيت أسداً، والفريق: الجماعة من الناس، وحلولا: جمع حالٍّ وهو المقيم، تقول: حلَّ فلان في مكان كذا، تريد أنه نزل به وأقام فيه.

وفي هذا البيت تشبيه:

المشبّه فيه: عينا الأسد وقد نظر إلى فريسته أو من يريد به شراً.

والمشبّه به فيه: نار قوم نزلوا بمكان ما فأوقدوها ليستدل بها عليهم كعادة العرب، أو ليقضوا عليها حوائجهم، وكل من المشبّه والمشبّه به مفرد حِسّي.

ووجه الشبه بينهما: الاحمرار والبريق.

١١ - الأبطال: الشجعان، واحدهم بَطَل، ويَرُوعهم: يخيفهم ويُزعجهم، ورونق السيف: ماؤه وجوهره ولمعانه، وفي هذا البيت تشبيه ضمني:

المشبّه فيه: حال الممدوح وهو يروع الأبطال ويخيفهم، ويبعث الرعب في قلوبهم، مع أنه يضحك لهم.

والمشبّه به: حال السيف وهو ينزل على هام الكماة فيسقطها مع أنه يلمع ويبرق، وكل من الطرفين هيئة مركبة من صفات واحد حِسّي.

ووجه الشبه بينهما: هيئة مركبة أيضاً، وهي الهيئة الحاصلة من اجتماع صفة تبعث على الاستبشار والسرور في طي صفة أخرى باعثة على الخوف والرعب.

١٢ - يُفتقد: يُتَفَقَّد ويُبحث عنه، وفي هذا البيت تشبيهٌ ضمني أيضاً:

المشبّه فيه: حال الشاعر مع قومه إذ لا يبحثون عنه ما دامت أمورهم تسير سيرها الطبيعي، فإذا جد الجد وحَزَبَـهُم ما لا يستطيعون أن يدفعوه من أنفسهم تفقَّدوه وبحثوا عنه وفتَّشوا عليه.

والمشبّه به فيه: حال البدر إذ لا يَبْحَثُ عنه أحد ما دام الليل صافياً، فإذا أظلم الليل واغبرَّ الجو تفقَّدوه ليهتدوا به إلى مقاصدهم، وكل من المشبّه والمشبّه به هيئة حاصلة من صفات واحد حِسّي.

ووجه **الشبه** بينهما: أن كل واحد منهما يبقى غير مُلْتَفَتٍ إليه، ولا مبحوث عنه ما دامت الحاجة لا تدعو له، فإذا نزل الخوف بُحِث عنه وطُلِب.

تمرينات

١ - التمرين الأول:

بيِّن في كل تشبيه من التشبيهات الواردة فيما نذكر من الأبيات الأمور الآتية:

أ- طرفي التشبيه.

ب- وجه التشبيه.

ج - نوع التشبيه من حيث الإجمال والتفصيل، مع التوجيه.

د - نوع التشبيه من حيث الإرسال والتأكيد، مع التوجيه.

هـ - الغرض من التشبيه.

١ - قال حافظ بك إبراهيم على لسان اللغة العربية:

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامِنٌ فهل سألوا الغَوَّاصَ عن صَدَفاتي

٢- وقال ابن العميد:

يا من تخلّى وولّى وصَدَّ عني ومَلّا
وأوْسَعَ العهد نكثا وأتبَعَ القيد حَلّا
ما كان عهدك إلا عهد الشبيبة ولّى
أو طائفا من خيال ألَمَّ ثم تولّى

٣- وقال ابن قلاقس:

هو الثغر إلا أنه الفجر طالعاً على أنه الكافور لكنه البدر

٤- وقال أحمد شوقي بك:

ما كان ماء سـقارِيّا سـوى سَقَر   طَغَتْ فأغرقت الإغريـق باللّهَبِ

٥- وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كأن وجهك تحت النقـعِ بَدْرُ دُجىً   يـضيء مُلتثـماً أو غـير مُلتثـم

بـدر تطلّـع في بـدرٍ فغرَّتُـهُ   كغُرّة النـصر تجلو داجِـيَ الظُّلَمِ

٦- وقال أيضاً:

فإنـك أنـتَ مرْهَـمُ كلِّ جرحٍ   وإن بلـغ المفاصـل والعظامـا

٧- وقال أيضاً يصف دمشق الشام:

آمنـت بـالله واسـتثنيت جَنَّتَـهُ   دمَشْـقُ رَوح وجنّـاتٌ وريحـانُ

دخلتهـا وحواشـيها زُمُـرُّدَةٌ   والشـمس فوق لجين المـاء عِقْيَانُ

والحـور في دُمَّر أو حـول هامتها   حورٌ كواشف عن سـاقٍ، وَوِلدانُ

٨- وقال علي بن مليك:

بالـروح أفـدي صاحبـاً لم يزل   محتقـراً ذنبِـيَ في عفـوه

فكفُّـه كالمـاء في جـوده   وقلبـه كالمـاء في صفـوه

٩- وقال ابن نباتة:

سـألته عـن قومـه فانثنـى   يعجب من إسراف دمعي السـخي

وأبـصر المسـك وبـدر الدجى   فقـال: ذا خـالي، وهـذا أخـي

٢ - التمرين الثاني:

بيّن في كل تشبيه من التشبيهات الواردة في الأبيات التي نذكرها الأمور الآتية:

أ- طرفي التشبيه.

ب- وجه الشبه.

ج - نوع التشبيه من جهة كونه ملفوفاً أو مفروقاً، مع التوجيه.

د - نوع التشبيه من حيث منزلته من قوة المبالغة، مع التوجيه.

هـ - الغرض من التشبيه.

١ - قال الصاحب بن عباد:

رقّ الزجاجُ وراقت الخمرُ   وتشابها فتشاكَلَ الأمر

فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

٢- وقال ابن المعتز:

وكأن الشمس المنيرة دينا   رٌ جَلَتْهُ حدائد الضرَّاب

٣- وقال ابن المعتز أيضاً:

والليل كالحلَّة السوداء لاح به   من الصباح طِرازٌ غيرُ مرقوم

٤- وقال الشاعر:

وكأنَّ أجرام النجوم لوامعاً   دُررٌ نُثِرْنَ على بساطٍ أزرقِ

٥- وقال أبو الطيب المتنبي:

بدَت قمراً، ومالت خُوطَ بانٍ   وفاحت عَنْبَراً، ورَنَتْ غزالا

٦- وقال الصاحب بن عباد:

أتتنِـيَ بالأمـس أبياتُـهُ تعلِّـلُ رُوحـي بـرَوْحِ الجِنـان
كبُرْدِ الشـباب، وبَـرْد الشراب، وظِـلِّ الأمـان، ونَيْـلِ الأمـاني
وعهـد الصِّبـا، ونسـيم الصَّبا، وصَفْـو الدِّنـان، ورَجْـعِ القِيَانِ

٧- وقال امرؤ القيس بن حجر الكندي:

كأن المـدام، وصَـوْب الغـمام، وريـح الخُزامى، ونَـشْرَ القطر [1]
يُعَـلُّ بـه بَـرْدُ أنيابهـا إذا طَـرَّبَ الطائـرُ الـمُسْتَحِرْ

٨- وقال ابن الرومي:

يـا شـبيه البـدر في الحُسْـ ـنِ وفي بعـد الـمَنال
جُـدْ فقـد تنفجـر الصخـ ـرة بالمـاء الـزُّلَال

٩- وقال ابن سكرة الهاشمي:

في وجـه إنسـانةٍ كلفـت بهـا أربعـة مـا اجتمعْـنَ في أحـد
الخـد ورد، والصُّـدغ غاليـة والريـق خمـر، والثغر مـن بَرد

١٠- وقال الثعالبي في مديح الأمير أبي الفضل الميكالي:

لك في المحاسـن معجـزات جمة أبـداً لغـيرك في الـورى لم تجمع
بحـران: بحـرٌ في البلاغة شـابَهُ شـعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
كالنـور أو كالسِّـحر أو كالدُّرِّ أو كالـوشي في بـرد عليه مُوَشّـع

(١) المدام: الخمر، وصوب الغمام: السحاب، والخزامى: نبت طيب الريح، نشر القطر: ريح العود الذي يتبخر به.

٣ - التمرين الثالث:

اشرح الأبيات الآتية شرحاً يوضِّح المراد منها، ويبيِّن ما فيها من التشبيهات إن كانت، مع الإشارة إلى أركان التشبيه والغرض منه:

١ - قال أحمد شوقي بك:

يـــا ناعـــماً رقـــدت جفونُـــهْ   مضنـــاك لا تَهْـــدَا شُـــجُونه
حمـــل الهـــوى لـــك كلـــه   إن لم تُعِنـــه فمـــن يُعينـــه
الـــروح ملـــك يمينـــه   يفديـــه مـــا ملكـــت يمينـــه
مـــا البـــان إلا قَـــدُّه   لـــو تَيَّمـــت قلبـــا غصونـــه
ويزيـــن كل يتيمـــة   فَمـــهُ؛ ونحســـبها تزينـــه
مـــا العمـــر إلا ليلـــة   كان الصبـــاح لهـــا جبينـــه

٢ - وقال أيضاً وهو في منفاه بإسبانيا يحنّ إلى مصر:

يا نائـــح الطلـــح أشـــباه عوادينا   نَشْجى لواديك أم نأســـى لوادينا ؟
ماذا تقـــص علينـــا غـــير أنّ يدا   قصَّتْ جناحك جالت في حواشـــينا
رمى بنا البَـــيْنُ أيْكا غير ســـامرنا   أخـــا الغريـــب، وظِلًّا غـــير نادينا
آهاً لَنـــا نازِحَـــيْ أيـــكٍ بأندلس   وإن حللنـــا رفيفـــا مـــن روابينا
رســـم وقفنا على رســـم الوفاء له   نجيـــش بالدمع، والإجـــلالُ يثنينا
لفتيـــة لا تنـــال الأرضُ أدمُعَهُـــم   ولا مفارقهـــم إلا مُصلِّينـــا
بِنَّا فلم نخْـــل مـــن رَوْح يراوحنا   من بَـــرِّ مـــصر وريحـــانٍ يغادينا
كأُمِّ موســـى على اســـم الله تكفلنا   وباســـمه ذهبـــت في اليـــم تلقينا

ومصر كالكَرْم ذي الإحسان، فاكهةٌ لحاضرين، وأكوابٌ لبادينا

٣- وقال أبو العلاء المعري:

ضحكنا وكان الضحك مِنّا سفاهة وحُقَّ لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطِّمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يُعاد لنا سَبْك

٤- وقال الشاعر:

كأنَّ سُهَيلاً والنجوم وراءه صُفُوفُ صلاةٍ قام فيها إمامها

٥- وقال الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

٦- وقال الطغرائي:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العَطَلِ
مجدي أخيراً ومجدي أولا شَرَعٌ والشمس رَأْدَ الضحى كالشمس في الطَّفَلِ

٧- وقال الشاعر:

كأن القماري والبلابل حولنا قِيَانٌ، وأوراق الغصون ستائر

٨- وقال محمود سامي البارودي باشا:

أنا فارس أنا شاعر في كل ملحمة ونادي
فإذا ركبت فإنني زيد الفوارس في الجلاد
وإذا نطقت فإنني قسُّ بن ساعدة الإيادي

٩- وقال مجنون بني عامر:

كأنَّ القلب ليلةَ قيل يُغْدى بليلى العامرية أو يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّها شَرَك، فباتت تجاذبه وقد عَلِقَ الجَنَاحُ

الحقيقة والمجاز

هذا هو المقصد الثاني من مقاصد علم البيان: أي هذا بَحْث الحقيقة والمجاز، والمقصود الأصلي بالنظر إلى علم البيان هو المجاز؛ إذ به يتأتى اختلاف الطرق، دون الحقيقة، إلا أنها لما كانت كالأصل للمجاز -إذ الاستعمال في غير ما وضع له فرعُ الاستعمال فيما وضع له- جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أوّلاً، وقد يُقيّدان باللغويين؛ ليتميزا عن الحقيقة والمجاز العقليين اللذين هما في الإسناد، والأكثر تَرَكَ هذا التقييد؛ لئلا يتوهّم أنه مقابلٌ للشرعي والعُرْفي.

تعريف الحقيقة:

الحقيقة في الأصل: فَعِيل بمعنى فاعل، من (حَقَّ الشيء) إذا ثَبَتَ، أو بمعنى مفعول، من (حققته) إذا أثبتّه، ونقل إلى: الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي، والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية.

وهي في **الاصطلاح:** الكلمة المستعملة فيما -أي: في معنى- وضعت تلك الكلمة له في اصطلاحٍ به التخاطب.

وقد احترزنا «بالمستعملة» عن الكلمة قبل الاستعمال، فإنها لا تسمّى حقيقة ولا مجازاً، وبقولنا: «فيما وضعت له» عن الغلط، نحو: (خذ هذا الفرس) مشيراً إلى كتاب، وعن المجاز المستعمل فيما لم يوضع له في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره، كالأسد في الرجل الشجاع؛ لأن الاستعارة وإن كانت موضوعة بالتأويل إلا أن المفهوم من إطلاق الوضع إنما هو الوضع بالتحقيق، وبقولنا: «في اصطلاح به التخاطب» عن المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذي يقع به التخاطب، كالصلاة إذا استعملها

المخاطب بعرف الشرع في الدعاء، فإنها تكون مجازاً؛ لاستعماله في غير ما وضع له في الشرع، أعني الأركان المخصوصة، وإن كانت مستعملة فيما وضع له في اللغة.

تعريف الوضع:

والوضع: «تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه» أي: ليدل بنفسه، لا بقرينة تنضمُّ إليه - ومعنى الدلالة بنفسه أن يكون العلمُ بالتعيين كافياً في فهم المعنى عند إطلاق اللفظ، وهذا شامل للحرف أيضاً؛ لأنا نفهم معاني الحروف عند إطلاقها بعد علمنا بأوضاعها، إلا أن معانيها ليست تامة في أنفسها، بل تحتاج إلى الغير، بخلاف الاسم والفعل فإنهما لا يحتاجان في فهم معناهما إلى الغير، نعم لا يكون هذا شاملاً لوضع الحرف عند مَنْ يجعل معنى قولهم: «الحرف ما دل على معنى في غيره» أنه مشروط في دلالته على معناه الإفرادي ذكر متعلّقه.

فخرج المجاز عن أن يكون موضوعاً بالنسبة إلى معناه المجازي؛ لأن دلالته على ذلك المعنى إنما تكون بقرينة لا بنفسه، دون المشترك، فإنه لم يخرج، لأنه قد عيّن للدلالة على كل من المعنيين بنفسه، وعدمُ فهم أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك، فالقَرْء مثلاً عُيِّن مرة للدلالة على الطهر بنفسه، ومرة أخرى للدلالة على الحيض بنفسه، فيكون موضوعاً.

وفي كثير من النسخ بدل قوله: «دون المشترك» «دون الكناية» وهو سهو؛ لأنه إن أريد أن الكناية بالنسبة إلى معناها الأصلي موضوعة فكذا المجاز، ضرورة أن الأسد في قولنا: (رأيت أسداً يرمي) موضوع للحيوان المفترس،

وإن لم يستعمل فيه، وإن أريد أنها موضوعة بالنسبة إلى معنى الكناية -أعني لازم المعنى الأصلي- ففساده ظاهر، لأنه لا يدل عليه بنفسه، بل بواسطة القرينة.

لا يقال: معنى قوله: «بنفسه» أي من غير قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له، أو من غير قرينة لفظية، فعلى هذا يخرج من الوضع المجاز دون الكناية.

لأنّا نقول: أخْذُ الموضوع في تعريف الوضع فاسد، للزوم الدور، وكذا حَصْرُ القرينة في اللفظية؛ لأن المجاز قد تكون قرينته معنوية.

لا يقال: معنى الكلام أنه خرج عن تعريف الحقيقة المجازُ دون الكناية؛ فإنها أيضاً حقيقة على ما صرح به صاحب «المفتاح».

لأنّا نقول: هذا فاسد على رأي المصنف؛ لأن الكناية لم تستعمل عنده فيما وضع له، بل إنما استعملت في لازم الموضوع له مع جواز إرادة الملزوم، وسيجيء لهذا زيادة تحقيق.

نقد القول بدلالة اللفظ على معناه بذاته:

والقول بدلالة اللفظ لذاته ظاهرُهُ فاسدٌ، وتفصيل هذا المبحث أن نقول:

ذهب بعضهم إلى أن دلالة الألفاظ على معانيها لا تحتاج إلى الوضع، بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضي دلالة كل لفظ على معناه لذاته.

وذهب المصنف وجميع المحققين إلى أن هذا القول فاسد، ما دام محمولاً على ما يفهم منه ظاهراً؛ لأن دلالة اللفظ على المعنى لو كانت لذاته -كدلالته على اللافظ- لوجب أن لا تختلف اللغاتُ باختلاف الأمم، وأن يفهم كل أحد معنى كل لفظ، لعدم انفكاك المدلول عن الدليل، ولامْتَنَعَ أن يجعل اللفظ

بواسطة القرينة بحيث يدل على المعنى المجازي دون الحقيقي؛ لأن ما بالذات لا يزول بالغير، ولامتنع من نقْله من معنى إلى معنى آخر بحيث لا يفهم منه عند الإطلاق إلا المعنى الثاني.

وقد تأوّل القول بدلالة اللفظ لذاته «السكاكي»، أي صَرَفه عن ظاهره، وقال: إنه تنبيه على ما عليه أئمة عِلْمي الاشتقاق والتصريف، من أن للحروف في أنفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك، وتلك الخواص تقتضي أن يكون العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء مركب منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما، قضاء لحق الحكمة، كالفصم -بالفاء الذي هو حرف رخو- لكسر الشيء من غير أن يبين، والقصم -بالقاف الذي هو حرف شديد- لكسر الشيء حتى يبين، وأن لهيئات تركيب الحروف أيضاً خواص كالفَعَلان والفَعَلى -بالتحريك- لما فيه حركة، كالنَّزَوَان والحيدَى، وكذا باب فَعُلَ -بالضم مثل شَرُفَ وكرم- للأفعال الطبيعية اللازمة.

تقسيم المجاز، وتعريف المجاز المفرد:

المجاز في الأصل: مَفْعَل من (جاز المكان يَجُوزه) إذا تعدّاه، نقل إلى الكلمة الجائزة: أي المتعدِّية مكانها الأصلي، أو الـمَجُوز بها، على معنى أنهم جازوا بها وعَدَّوها مكانها الأصلي، كذا ذكره الشيخ في «أسرار البلاغة»، وذكر المصنف أن الظاهر أنه من قولهم: (جعلت كذا مجازاً إلى حاجتي) أي طريقاً لها، على أن معنى (جاز المكان): سلكه، فإن المجاز طريق إلى تصوير معناه.

والمجاز نوعان: مفرد، ومركب. وهما مختلفان، فعرَّفوا كلا منهما على حدة.

أما **المفرد** فهو: «الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح، مع قرينة عدم إرادة المعنى الموضوع له».

وقولنا: «المستعملة» احتراز عن الكلمة قبل الاستعمال؛ فإنها ليست بمجاز ولا حقيقة، وقولنا: «في غير ما وضعت له» احتراز عن الحقيقة، مرتجلاً كان أو منقولاً أو غيرهما، وقولنا: «في اصطلاح التخاطب» متعلق بقولنا: «وضعت» وقيَّدنا بذلك ليدخل المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر، كلفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً، فإنه وإن كان مستعملاً فيما وضع له في الجملة ليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي وقع به التخاطب أعني الشرع، وليخرج من الحقيقة ما يكون له معنى آخر باصطلاح آخر، كلفظ الصلاة المستعمل بحسب الشرع في الأركان المخصوصة، فإنه يصدق عليه أنه كلمة مستعملة في غير ما وضعت له، ولكن بحسب اصطلاح آخر، وهو اللغة، لا بحسب اصطلاح به التخاطب، وهو الشرع، وقولنا: «على وجه يصح» متعلق بالمستعملة، و «مع قرينة عدم إرادة المعنى الموضوع له» مُخْرِج للكناية كما ستعرف.

فلا بد للمجاز من العلاقة ليتحقق الاستعمال على وجه يصح.

واشتراط العلاقة ليخرج الغلط من تعريف المجاز، كقولك: (خذ هذا الفرس) مشيراً إلى كتاب؛ لأن هذا الاستعمال ليس على وجه يصح، وإنما قيدناه بقولنا: «مع قرينة عدم إرادته» لتخرج الكناية؛ لأنها مستعملة في غير ما وضعت له، مع جواز إرادة ما وضعت له.

وكل واحد من الحقيقة والمجاز ينقسم إلى أربعة أقسام، وذلك لأنه إما لغوي؛ أو شرعي؛ أو عرفي خاص -وهو ما يتعين ناقلُه كالنحوي والصرفي وغير ذلك-؛ أو عرفي عام لا يتعين ناقله.

وهذه النسبة في الحقيقة بالقياس إلى الواضع، فإن كان واضعها اللغة فلغوية، وإن كان الشارع فشرعية، وعلى هذا القياس.

وفي المجاز باعتبار الاصطلاح الذي وقع الاستعمال في غير ما وضعت له في ذلك الاصطلاح، فإن كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوي، وإن كان اصطلاح الشرع فشرعي، وإلا فعرفي عام أو خاص، كـ(أسد) للسبع المخصوص والرجل الشجاع فإنه حقيقة لغوية في السبع، مجاز لغوي في الرجل الشجاع، و(صلاة) للعبادة المخصوصة والدعاء، فإنها حقيقة شرعية في العبادة؛ مجاز شرعي في الدعاء و(فعل) للفظ المخصوص -أعني ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة- والحدث، فإنه حقيقة عرفية خاصة أي نحوية في اللفظ، مجاز نحوي في الحدث، و(دابة) لِذِي الأربع والإنسان، فإنها حقيقة عرفية عامة في الأول، مجاز عرفي عام في الثاني.

المجاز المفرد: إما مرسل، وإما استعارة:

والمجاز مرسل: إن كانت العلاقة المصححة غير المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي، وإلا فاستعارة، فعلى هذا تكون الاستعارة هي: «اللفظ المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلي لعلاقة المشابهة»، كأسد في قولنا: (رأيت أسداً يرمي).

وكثيراً ما تطلق الاستعارة على فعل المتكلم، أعني على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه، فعلى هذا تكون بمعنى المصدر، ويصح منه الاشتقاق، فهما -أي: المشبّه به والمشبّه- مستعار منه، ومستعار له، واللفظ -أي: لفظ المشبّه به- مستعار؛ لأنه بمنزلة اللباس الذي استعير من أحد فألبس غيره.

أمثلة مختلفة للمجاز المرسل:

والمرسل -وهو ما كانت العلاقة فيه غير المشابهة- كاليد الموضوعة للجارحة المخصوصة إذا استعملت في النعمة؛ لكونها بمنزلة العلة الفاعلية للنعمة؛ لأن النعمة منها تصدر وتصل إلى المقصود بها، وكاليد في القدرة، لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة يكون في اليد، وبها تكون الأفعال الدالة على القدرة من البطش والضرب والقطع والأخذ، وغير ذلك.

والراوية -التي هي في الأصل اسم للبعير الذي يحمل المزادة- إذا استعملت في المزادة: أي المزود الذي يجعل فيه الزاد: أي الطعام المتخذ للسفر، والعلاقة كون البعير حاملا لها، وهي بمنزلة العلة المادية.

علاقات المجاز المرسل:

ولما أشار بالمثال إلى بعض أنواع العلاقة أخذ في التصريح بالبعض الآخر من أنواع العلاقات فقال: «ومنه تسمية الشيء باسم جزئه».

وفي هذه العبارة نوع من التسامح، والمعنى أن في هذه التسمية مجازاً مرسلاً، وهو اللفظ الموضوع لجزء الشيء عند إطلاقه على نفس ذلك الشيء، كالعين -وهي الجارحة المخصوصة- في الرَّبيئة، وهي الشخص الرقيب، والعين جزء منه، ويجب أن يكون الجزء الذي يطلق على الكل مما يكون له مزيد اختصاص بالمعنى الذي قُصِد بالكل، فلا يجوز إطلاق اليد أو الإصبع على الربيئة.

ومن المجاز المرسل: تسمية الشيء باسم كله، عكس السابق، كالأصابع المستعملة في الأنامل التي هي أجزاء من الأصابع في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ

أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾ [البقرة: ١٩].

ومنه: تسمية الشيء باسم سببه، نحو: (رَعَيْنا الغيث) أي: النبات الذي سببه الغيث.

ومنه: تسمية الشيء باسم مسببه، نحو: (أمطرت السماء نباتاً) أي: غيثاً يكون النبات مسبباً عنه، وأورد في «الإيضاح» في أمثلة تسمية السبب باسم المسبب قولهم: (فلان أكل الدم) أي: الدية المسببة عن الدم، وهو سهو، بل هو من تسمية المسبب باسم السبب.

ومن المجاز المرسل أيضاً: تسمية الشيء باسم الشيء الذي كان هو عليه في الزمان الماضي، لكنه ليس عليه الآن، نحو قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء:٢] أي: الذين كانوا يتامى قبل ذلك، إذ لا يُتْمَ بعد البلوغ.

ومنه: تسمية الشيء باسم ما يؤول ذلك الشيء إليه في الزمان المستقبل، نحو: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦] أي: عصيراً يؤول إلى الخمر.

ومنه: تسمية الشيء باسم محله، نحو: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ [العلق: ١٧] أي: أهل ناديه الذين يحلون فيه، والنادي: المجلس.

ومنه: تسمية الشيء باسم حالِّه، أي: باسم ما يحلّ في ذلك الشيء، نحو: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي: في الجنة التي تحُلُّ فيها الرحمة.

ومنه: تسمية الشيء باسم آلته، نحو: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْأٓخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤] أي: ذكراً حسناً، واللسان اسم لآلة الذكر.

فإن قيل: قد ذكر في مقدمة هذا الفن أن مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم، وبعض العلاقة، بل أكثرها، لا يفيد اللزوم، فكيف ذلك ؟

قلنا: ليس معنى اللزوم في هذا الموضع امتناع الانفكاك في الذهن، أو الخارج؛ بل معناه تلاصق واتصال ينتقل بسببه من أحدهما إلى الآخر في الجملة، وفي بعض الأحيان، وهذا متحقق في كل أمرين بينهما علاقة وارتباط.

الاستعارة:

والاستعارة هي: «مجاز تكون علاقته المشابهة»، أي قصد أن الإطلاق بسبب المشابهة، ومعنى هذا أنه إذا أطلق المشفر على شفة الإنسان، إن قصد تشبيهها بمشفر الإبل في الغلظ والتدلِّي فهو استعارة، وإن أريد أنه من إطلاق المقيّد على المطلق كإطلاق الـمَرْسِنِ على الأنف من غير قصد إلى التشبيه فمجازٌ مرسل، فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد قد يكون استعارة، وقد يكون مجازاً مرسلاً.

وقد تقيّد الاستعارة بالتحقيقية؛ لتتميَّز عن التخييلية والمكني عنها، وإنما تسمى تحقيقية لتحقق معناها أي: ما عني بها واستعملت هي فيه، حساً أو عقلاً: بأن يكون اللفظ قد نُقل إلى أمر معلوم يمكن أن يُنَصَّ عليه أو يشار إليه إشارة حِسّية أو عقلية:

فالحِسّي كقول زهير بن أبي سُلْمى المزني:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلاحِ مُقَذَّف ... لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

(شاكي السلاح) أي: تام السلاح، و(مقذف) أي: قذف به كثيراً إلى الوقائع، وقيل: قذف باللحم ورُمي به، فصار له جَسَامة ونبالة، فالأسد ههنا مستعار للرجل الشجاع، وهو أمر متحقِّق حِسًّا.

والعقلي كقوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] أي: الدين

الحق، وهو ملة الإسلام، وهذا أمر متحقِّق عقلاً.

قال المصنف -رحمه الله-: «فالاستعارة ما تضمّن تشبيه معناه بما وضع له»، والمراد بمعناه ما عني باللفظ واستعمل اللفظ فيه، فعلى هذا يخرج من تفسير الاستعارة نحو: (زيد أسد) و(رأيت زيداً أسداً) و(مررت بزيد أسد) مما يكون اللفظ فيه مستعملاً فيما وضع له، وإن تضمن تشبيه شيء به، وذلك لأنه إذا كان معناه عين المعنى الموضوع له لم يصحّ تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له؛ لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه، على أن (ما) في قولنا: (ما تضمّن) عبارة عن المجاز، بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها.

و(أسد) في الأمثلة المذكورة ليس بمجاز، لكونه مستعملاً فيما وضع له.

وفيه بحث؛ لأنّا لا نسلِّم أنه مستعمل فيما وضع له، بل في معنى الشجاع، فيكون مجازاً واستعارة، كما في (رأيت أسداً يرمي) بقرينة حمله على زيد. ولا دليل لهم على أن هذا على حذف أداة التشبيه، وأن التقدير: (زيد كأسد)، واستدلالهم على ذلك بأنه قد أوقع الأسد على زيد، ومعلوم أن الإنسان لا يكون أسداً، فوجب المصير إلى التشبيه بحذف أداته قصداً إلى المبالغة فاسد(١)؛ لأن المصير إلى ذلك إنما يجب إذا كان (أسد) مستعملاً في معناه الحقيقي، وأما إذا كان مجازاً عن الرجل الشجاع فحمله على زيد صحيح.

ويدل على ما ذكرناه أن المشبّه في مثل هذا المقام كثيراً ما يتعلّق به الجار والمجرور، كقول عِمْران بن حِطّان يخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي:

أَسَــدٌ عــلَيَّ وفي الحُــروب نَعَامةٌ فَتْخَــاءُ تَنْفِــرُ مِنْ صَفِــير الصَّافِرِ

---

(١) فاسد هنا: خبر (استدلالهم) في أول الجملة، والمعنى: استدلالهم بهذا الدليل فاسد مردود (صالح).

أي: مُجتَرِئ صائلٌ عليَّ.

ونظيره قول أبي العلاء المعَرِّي:

والطَّيْرُ أغْرِبةٌ عليه بأَسْرِهَا فُتْخُ السَّرَاةِ وسَاكِنَاتُ لَصافِ

أي: باكية.

دليل أن الاستعارة مجاز لغوي:

واعلم أنهم قد اختلفوا في أن الاستعارة مجاز لغوي أو عقلي:

فالجمهور على أنها مجاز لغوي، بمعنى أنها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة.

ودليل أن الاستعارة مجاز لغوي كونها موضوعة للمشبه به، لا للمشبه، ولا للأعم منهما -أي: من المشبّه والمشبّه به- فأسد في قولنا: (رأيت أسداً يرمي) موضوع للسبع المخصوص، لا للرجل الشجاع، ولا لمعنى أعم من السبع والرجل، كالحيوان المجترئ مثلاً، ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان على الأسد والرجل.

وهذا معلوم بالنقل عن أئمة اللغة قطعاً، فإطلاقه على المشبّه -وهو الرجل الشجاع- إطلاقٌ على غير ما وُضع له مع قرينة مانعة عن إرادة ما وُضع له، فيكون مجازاً لغوياً.

وفي هذا الكلام دلالة على أن لفظ العام إذا أُطلق على الخاص، لا باعتبار خصوصه بل باعتبار عمومه، فهو ليس من المجاز في شيء، كما إذا لقيت زيداً فقلت: (لقيت رجلاً، أو إنساناً، أو حيواناً) بل هو حقيقة، إذ لم يستعمل اللفظ إلا في معناه الموضوع له.

وقيل: **إن الاستعارة مجاز عقلي**، بمعنى أن التصرف في أمر عقلي لا لغوي؛ لأنها لمـّا لم تطلق على المشبّه إلا بعد ادعاء دخول المشبّه في جنس المشبّه به - بأن جُعل الرجل الشجاع فرداً من أفراد الأسد - كان استعمال الاستعارة في المشبّه استعمالاً فيما وضعت له، وإنما قلنا: «إنها لم تطلق على المشبّه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبّه به» لأنها لو لم تكن كذلك لَمَا كانت استعارة؛ لأن مجرد نقل الاسم لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة استعارة، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة، إذ لا مبالغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه، ولَمَا صحّ أن يقال لمن قال: (رأيت أسداً) وأراد به زيداً، إنه جعله أسداً، كما لا يقال لمن سمى ولده أسداً: إنه جعله أسداً، إذ لا يقال (جعله أميراً) إلا وقد أثبت فيه صفة الإمارة.

وإذا كان نَقْل اسم المشبّه به إلى المشبّه تبعاً لنقل معناه إليه، بمعنى أنه أثبت له معنى الأسد الحقيقي ادِّعاءً، ثم أطلق عليه اسم الأسد، كان الأسد مستعملاً فيما وضع له، فلا يكون مجازاً لغوياً، بل عقلياً، بمعنى أن العقل جعل الرجل الشجاع من جنس الأسد، وجَعْلُ ما ليس في الواقع واقعاً مجازٌ عقلي.

ولأن إطلاق اسم المشبّه به على المشبّه إنما يكون بعد ادّعاء دخوله في جنس المشبّه به صح التعجب في قول ابن العميد:

قامت تُظلِّلُني مِنَ الشَّمسِ ... نفسٌ أعزُّ عليَّ مِن نفسي
قامت تُظلِّلُني، ومن عَجَبٍ ... شمسٌ تُظلِّلُني من الشَّمسِ

(تُظلِّلُني) أي: توقع الظل عليّ، وأراد بقوله: (شمس) غلاماً كالشمس في الحسن والبهاء.

فلولا أنه ادّعى لذلك الغلام معنى الشمس الحقيقي، وجعله شمساً على الحقيقة لَمَا كان لهذا التعجُّب معنى، إذ لا تعجُّبَ في أن يظلِّل إنسانٌ حَسَن الوجه إنساناً آخر.

ولهذا -أيضا- صح النهي عن التعجب أيضاً في قول أبي الحسن ابن طَبَاطَبَا:

لا تَعْجَبُوا مِنْ بِلى غِلالَتِهِ ... قَدْ زَرّ أَزْرَارَهُ على القَمَرِ

(الغلالة): هي شعار يلبس تحت الثوب، وتحت الدرع أيضاً، وتقول: زررت القميص عليه أزره، إذا شددت أزراره عليه.

فلولا أنه جعله قمراً حقيقياً لما كان للنهي عن التعجّب معنى؛ لأن الكِتّان إنما يُسرع إليه البِلى بسبب ملابسة القمر الحقيقي، لا بملابسة إنسان كالقمر في الحسن.

لا يقال: القمر في البيت ليس باستعارة؛ لأن المشبّه مذكور وهو الضمير في (غلالته) و(أزراره)؛ لأنا نقول: لا نسلِّم أن الذكر على هذا الوجه ينافي الاستعارة، كما في قولنا: (سيف زيد في يد أسد) فإن تعريف الاستعارة صادق على ذلك.

وردَّ هذا الدليل بأن ادّعاء دخول المشبّه في جنس المشبّه به لا يقتضي كون الاستعارة مستعملة فيما وضعت له، للعلم الضروري بأن أسداً في قولنا: (رأيت أسداً يرمي) مستعمل في الرجل الشجاع، والموضوع له هو السبع المخصوص.

وتحقيق ذلك أن ادّعاء دخول المشبّه في جنس المشبّه به مبني على أنه جعل أفراد الأسد بطريق التأويل قسمين:

أحدهما المتعارف، وهو الذي له غاية الجرأة ونهاية القوة، في مثل تلك الجثة المخصوصة.

والثاني: غير المتعارف، وهو الذي له تلك الجرأة، ولكن لا في تلك الجثة المخصوصة والهيكل المخصوص، ولفظ الأسد إنما هو موضوع للمتعارف، فاستعماله في غير المتعارف استعمال في غير ما وضع له، والقرينة مانعة عن إرادة المعنى المتعارف لتعيّن المعنى غير المتعارف، وبهذا يندفع ما يقال: إن الإصرار على دعوى الأسدية للرجل الشجاع ينافي نصب القرينة المانعة عن إرادة السبع المخصوص.

وأما التعجب والنهي عنه كما في البيتين المذكورين فللبناء على تَناسي التشبيه، قضاءً لحقِّ المبالغة، ودلالةً على أن المشبّه بحيث لا يتميز عن المشبّه به أصلاً، حتى إن كل ما يترتَّب على المشبّه به من التعجب والنهي عن التعجب يترتَّب على المشبّه أيضاً.

الفرق بين الاستعارة والكذب:

الاستعارة تفارق الكذب من وجهين:

أحدهما: البناء على التأويل في دعوى دخول المشبّه في جنس المشبّه به، بأن يجعل أفراد المشبّه قسمين: متعارفاً، وغير متعارفٍ كما مرَّ، ولا تأويل في الكذب.

وثانيهما: وجود القرينة على إرادة خلاف الظاهر في الاستعارة، لِما عرفتَ أنه لا بد للمجاز من قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له، بخلاف الكذب، فإن قائله لا ينصب فيه قرينة على إرادة خلاف الظاهر، بل يبذل المجهود في ترويج ظاهره.

الاستعارة في العلم:

ولا تكون الاستعارة علماً؛ لما سبق من أنها تقتضي إدخال المشبّه في جنس المشبّه به بجعل أفراده قسمين: متعارفاً، وغير متعارف، ولا يمكن ذلك في العلم، لمنافاته الجنسيّة، لأنه يقتضي التشخّص ومنع الاشتراك؛ والجنسيّة تقتضي العموم وتناول الأفراد، إلا إذا تضمن العلم نوع وَصْفية، بواسطة اشتهاره بوصف من الأوصاف: كـ(حاتم) المتضمن الاتِّصاف بالجود، و(مادر) بالبخل، و(سحبان) بالفصاحة، و(باقل) بالفهاهة، فحينئذٍ يجوز أن يشبّه شخص بحاتم في الجود، ويتأول في حاتم، فيجعل كأنه موضوع للجواد، سواء أكان ذلك الرجلَ المعهودَ أم غيرَه، كما مرَّ في الأسد، فبهذا التأويل يتناول (حاتم) الفرد المتعارف المعهود، والفرد غير المتعارف، ويكون إطلاقه على المعهود -أعني حاتماً الطائي- حقيقة، وعلى غيره ممن يتصف بالجود استعارة، نحو: (رأيت اليوم حاتماً).

قرينة الاستعارة:

والاستعارة -لكونها مجازاً- لا بد لها من قرينة مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له، وقرينتها إما أن تكون أمراً واحداً ، كما في قولك: (رأيت أسداً يرمي)، وإما أن تكون أمرين، أو أموراً، يكون كل واحد منها قرينة، كقولهم:

وَإِنْ تَعافُوا العَدلَ والإِيمَانَا ... فإِنَّ في أيمانِنا نِيرانا

(تعافوا) أي: تكرهوا، و(نيراناً) أي: سيوفاً تلمع كشعل النيران، فتعلّق قوله: (تعافوا) بكل واحد من العدل والإيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف، لدلالته على أن جواب هذا الشرط (تُحارَبون وتلجأون إلى الطاعة بالسيوف).

وإما أن تكون قرينة الاستعارة معاني ملتئمة مربوطاً بعضُها ببعضٍ يكون الجميع قرينة، لا كلّ واحد[١]، كقول أبي عبادة البحتري:

وصاعِقَـــة مِـــنْ نَصْلِـــهِ تَنْكَفي بها   على أرْؤُسِ الأقْرانِ خَمْسُ سَـــحَائِبِ

(من نصله) أي: من نَصْل سيف الممدوح، وقوله: (تنكفي بها) من انكفأ أي: انقلب، والباء للتعدية، والمعنى: ربّ نارٍ من حدِّ سيفه يقلِّبها على أرؤس الأقران خمس سحائب: أي أنامله الخمس التي هي في الجود وعموم العطايا سحائب: أي تَصُبُّها على أكفائه في الحرب فتهلكهم بها.

ولما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذَكَر أن هناك صاعقة، وبيَّن أنها من نَصْل سيفه، ثم قال: (على أرؤس الأقران) ثم قال: (خمس) فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل، فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الأنامل.

---

(١) زعم بعضهم أن قوله: «وإما أن تكون القرينة أموراً يكون كل واحد منها قرينة» شامل، لقوله: «أن تكون القرينة معاني ملتئمة..الخ»، وهو فاسد؛ لأن المراد بالنوع الأول: التعدد، وبالنوع الثاني: التركيب، وهما متخالفان، وتحصّل أن قرينة الاستعارة ثلاثة أنواع.

تطبيقات

١- التطبيق الأول:

بيِّن في كل مجاز من المجازات الواردة في الأبيات التي نذكرها بعدُ الأمور الآتية:

أ- اللفظ الذي وقع فيه التجوُّز.

ب- المعني الحقيقي لهذا اللفظ والمعنى المراد، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

ج - العلاقة بين المعنيين.

د - نوع المجاز.

١- قال البحتري يصف الفتح بن خاقان، وكان قد بارز أسداً:

فلم أر ضِرْغامين أصدَقَ منكُما عِراكاً، إذا الهيَّابة النِّكْس كذَّبَا

هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِي هِزَبْراً وأَغْلَبٌ من القوم يَغْشَى باسِلَ الوجْهِ أغْلَبا

٢- وقال أبو الطيب المتنبي:

تَعَرَّضَ لي السحابُ وقد قَفَلْنَا فقلتُ: إليكَ، إنَّ معِي السَّحابا

٣- وقال المتنبي أيضاً:

نَشَرَتْ ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأَرَت ليالِيَ أرْبَعَا

٤- وقال أعرابي وكان قد تزوج امرأة فلم ترقه:

أَكَلْتُ دما إن لم أرُعْكِ بضرَّةٍ بعيدة مَهْوَى القرط طيِّبة النّشْر

٥- وقال الشاعر:

كفـــى بالمـــرء عَيْبـــاً أن تـــراه ... لـــه وَجْـــهٌ وليـــس لـــه لســـان

٦- وقال السموأل بن عادياء اليهودي:

تســـيل على حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُـــنَا ... وليســـت على غير الظبات تَسِـــيلُ

٧- وقال الشاعر:

وإن حَلَفَـــتْ لا ينقضُ النأيُ عهدها ... فليس لـــمَخْضُوبِ البَنَـــانِ يَمينُ

٨- وقال الشاعر:

ولَيْسَـــتْ أيادِي الناسِ عِنْدِي غَنِيمةً ... ورُبَّ يدٍ عِنْدِي أشَـــدُّ مِـــنَ الأسْرِ

٩- وقال المتنبي وقد لقيه ممدوحه فعانقه:

فلم أرَ قَبلي مَنْ مَشَـــى البَحْرُ نحوَهُ ... ولا رَجُلاً قامـــت تُعَانِقُهُ الأُسْـــدُ

١٠- وقال الحريري:

فَزَحْزَحَتْ شَـــفَقاً غَطَّى سَـــنَا قَمَرٍ ... وسَـــاقَطَتْ لُؤلُؤاً مِنْ خاتـــمٍ عَطِرِ

١١- وقال عنترة بن شداد العبسي:

فشـــككتُ بالرمح الأصـــمِّ ثِيَابَهُ ... ليـــس الكريمُ عـــلى القَنَـــا بمُحَرَّمِ

١٢- وقال المتنبي:

أنـــا الـــذي نَظَرَ الأعمـــى إلى أدبي ... وأســـمَعَتْ كلِماتي من بِـــهِ صَمَمُ

الجواب

١- الهيابة: صيغة المبالغة من الهيبة، وأراد به الجبان الشديد الخوف، والنِّكْس -بكسر النون وسكون الكاف-: الرجل الذي لا خير فيه، وكذَّبا: لم يصدق في قِرَاعه، والهِزَبر -بكسر الهاء وفتح الزاي وسكون الباء-: الأسد، وباسل الوجه: كريهه.

والتجوز هنا في قوله: (هزبر)؛ فإنه في الأصل الأسد كما قلنا، وأراد به هنا الرجل الشجاع، والعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد: المشابهة في الشجاعة والجراءة، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي: قوله: (من القوم).

٢- قَفَلنا: رجعنا، وإليك: اسم فعل أمر بمعنى تَنَحّ عني، والتجوز في هذا البيت في كلمة السحاب في قوله: (إن معي السحابا) فإن معناه الأصلي الغمام الذي يعترض في الأفق، وسمي بذلك لأن الرياح تسحبه وتجره، والغالب أن يكون معه مطر، وقد أراد منه هنا الرجل النفّاع، والعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد: المشابهة في النفع، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي: كلمة (معي).

٣- الذوائب: جمع ذُؤابة -بضم الذال- وهي: شعر الناصية (مقدم الرأس)، والتجوز في هذا البيت في قوله: (ليالي أربعاً) فإن الليل في الأصل اسم للوقت الذي يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وهو يكون شديد الظلمة، ويوصف لأجل ذلك بالسواد الشديد، وقد أراد به هنا شعر المتغزل فيها، والعلاقة بين المعنيين: المشابهة في السواد، والقرينة قوله: (ثلاث ذوائب من شعرها).

٤- أصل الدم معروف، وأراد منه الشاعر هنا الدية التي تُعطى لأهل القتيل عِوَضاً من قتيلهم، وهو معنى مجازي، والعلاقة بينه وبين المعني الأصلي للدم: السَّببية والمسَبَّبية، فإن إراقة القاتل دم القتيل سبب فيما يعطيه من الإبل ونحوها، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي لهذه الكلمة قوله: (أكلت) فإن الدم لا يؤكل.

وفي قوله: (بعيدة مَهْوَى القُرْطِ) تجوُّزٌ أيضاً، فإن القرط حلية تلبسها المرأة في أذنها، ومهواه: المكان يهوي إليه، وإذا هوى القرط فإنه يستقر على الكتف، والمعنى الأصلي لهذه العبارة أن هذه الضرة بعيدة المكان الذي يهوي ويستقر قرطها فيه إذا تدلَّى من أذنها، وأراد الشاعر أنها طويلة العنق، وهو وصف يستملحه العرب في المرأة.

والعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد: اللازميّة والملزومية، فإن طول العنق لازم لبعد المسافة بين الأذن والمكان الذي يستقر عليه القرط.

٥- أصل اللسان الجارحة التي بها الكلام، وأراد منه الشاعر في هذا البيت: الذِكْر الحَسَن الناشيء عن حسن الفعال وكريم الخصال، نظير ما في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

والعلاقة بين المعنى الأصلي لهذه الكلمة والمعنى المراد: الآلية، فإن اللسان الذي هو جارحة الكلام آلة للذكر الحسن.

يقول الشاعر: بحسب المرء عيباً لا يغتفر أن يكون حسن الوجه، جميل الرواء، وليس له بين الناس ذكر حسن؛ لأنه ليس له سجايا كريمة يتحدَّثون عنها. ونظيره قول الآخر:

تـــرى الرجـــل النحيـــف فتزدريه وفي أثوابـــه أســـدٌ مَزيـــرُ
ويُعْجِبْـــكَ الطَّريـــرُ فتبتليـــه فَيُخْلِـــفُ ظنَّـــك الرجُـــلُ الطِّرِيرُ

٦- الظُّبَات: جمع ظبة -بضم الظاء وتخفيف الباء- وهي: حد السيف. والنفوس: جمع نَفْس، وأصل معنى النفس: الجوهر اللطيف الذي تبقى الحياة في الجسم ما بقي، وتذهب متى ذهب، وأراد الشاعر هنا من النفوس: الدماء.

والعلاقة بين المعنى الأصلي للنفس والمعنى الذي أراده الشاعر: المسبّبيّة والسببيّة، فإن الدم متى نزف وسَال كلّه من الجسم تذهب الروح، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي لهذا اللفظ قوله: (تسيل على حد الظبات)، والعبارة كلها كناية عن كونهم شجعاناً مَقَاديم.

٧- مخضوب البنان: أصله المرأة التي خضبت أصابعها بالحناء ونحوها، وأراد المرأة مطلقاً، وهذا معنى مجازي، والعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد يجوز أن تكون: اللازمية والملزومية، فإن العادة العربية جارية بأنه لا يخضب أصابعه بالحناء غير النساء، فيلزم من خضب البنان أن تكون امرأة، ويجوز أن تكون العلاقة: الإطلاق والتقييد، فإن معنى (مخضوب البنان) امرأة خضبت أصابعها، والمراد: المرأة مطلقاً سواء أكانت مختضبة الأصابع أم لم تكن.

٨- الأيادي: جمع الأيدي التي هي جمع يد، وأصل معنى اليد: الجارحة التي يكون بها الأخذ والإعطاء، وأراد الشاعر هنا باليد النعمة والعطاء، والعلاقة بين المعنى الأصلي لهذا اللفظ والمعنى المراد السببية والمسببية، لأن اليد سبب في العطاء، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي لهذا اللفظ قوله: (ليست غنيمة).

٩- أصل البحر معروف، وأراد منه المتنبي الرجل الكريم البالغ الكرم، والعلاقة بين المعنيين: المشابهة، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي قوله: (مشى البحر نحوه)، فإن البحر الحقيقي لا يمشي نحو من يطلب بعض ما فيه من النفع.

وفي قوله: (الأُسد) تجوّز أيضاً، وأصل معنى الأُسد: السباع، وأراد بها: الرجال الشجعان، والعلاقة بين المعنيين: المشابهة، والقرينة الدالة على أنه لم يرد السباع بلفظ الأسد: قوله: (تعانقه).

١٠- في هذا البيت أربعة ألفاظ حصل فيها تجوّز:

اللفظ الأول منها: قوله: (شفقا)، وأصل الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة، وأراد الشاعر منه هنا: البرقع ونحوه مما تغطي به النساء وجهها، والعلاقة بين المعنيين: المشابهة، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي قوله: (فزحزحت).

واللفظ الثاني: قوله: (قمر)، وأصل معنى هذا اللفظ الكوكب الذي يضيء ليلاً، وأراد منه وجه الفتاة المتغزَّل فيها، والعلاقة بين المعنيين: المشابهة، فأما القرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي فقوله: (غطى سنا قمر).

واللفظ الثالث: قوله: (لؤلؤا)، وأصل معناه الجوهر الثمين المعروف، وهو حبات صغار صافية البياض، وأراد الشاعر من هذا اللفظ هنا: الكلام الذي تنطق به، والعلاقة بين المعنيين: المشابهة، والقرينة قوله: (وساقطت لؤلؤا من خاتم).

واللفظ الرابع: قوله: (خاتم)، وأصل الخاتم حِلْية تلبس في الأصبع، وأراد الشاعر منه ههنا: فم الفتاة التي يتغزل فيها، والعلاقة بينهما:

المشابهة في الضِّيق، وضيق الفم مما يستملحه العرب، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي: قوله: (وساقطت... من خاتم عَطِرِ).

وقد يراد من اللؤلؤ: الدمعُ في غير هذا البيت، ونظيره قول الشاعر:

بكت لؤلـــؤا رطْباً، ففاضَت مدامعي   عقيقاً، فصار الـــكلّ في نحرِها عِقدا

١١- الثياب: جمع ثَوب، وهو: كلّ ما يلبسه الإنسان ليغطّي به جسمه، وأراد الشاعر هنا: قَلْبَ خصمِه، والعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد: المجاورة، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي لهذا اللفظ: أنه بعد أن ذكر أنه شك برمحه ثيابه قال: (ليس الكريم على القنا بمحرم) ثم إنه يفتخر بشجاعة نفسه، ولا يجوز أن يفتخر الإنسانُ بأنه طعنَ ثوبَ خصمه بالرمح.

١٢- الأعمى في الأصل: الذي لا بصر له، وأراد به الشاعر هنا: مَنْ لا معرفة له بالأدب، ولا علم عنده بجيِّده، والعلاقة بين المعنيين: السببية والمسببية، فإن البصر سببٌ من أسباب العلم بالأشياء، والقرينة على أنه لم يرد بهذا اللفظ معناه الأصلي قوله: (نظر)، فإنه يستحيل أن يرى الأعمى شيئاً.

وفي قوله: (من به صمم) تجوّز أيضاً، فإن أصل معنى (من به صمم): الذي فقد حاسَّة السمع، وأراد منه هنا مثل ما أراده بالأعمى، والعلاقة هي: السببية والمسببية أيضاً؛ لأن السمع سَبَبٌ من أسباب العلم بالأشياء، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي لهذه العبارة: قوله: (وأسمعت كلماتي)، فإنه يستحيل على مَنْ كان به صَمَم حقيقةً أن يسمع شيئاً. والعبارتان كنايتان عن شهرة أدبه، وأنه لا يُخْتَلَف فيه.

٢ - التطبيق الثاني:

بيِّن في كل استعارة من الاستعارات الواردة في العبارات التي نذكرها لك بعدُ الأمورَ الآتية:

أ- اللفظ الذي فيه الاستعارة.

ب- التشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة.

ج - المعنى المراد من اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي.

د - القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

١ - قال الله تعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم: ١].

٢- وقال أبو الطيب المتنبي:

ولَـمَّا قَلَّتِ الإِبِلُ امْتَطَيْنا إلى ابنِ أبي سليمانَ الخُطُوبا

٣- وقال الشاعر:

بَنَيْتَ بُيُوتاً عَالِياتٍ وقبلَها بَنَيْتَ فَخَاراً لا تُسَامَى شُوَاهِقُهْ

٤ - وقال المتنبي:

فإنْ أمْرَض فَما مَرِضَ اصْطِبَاري وإنْ أُحْمَمْ فما حُمَّ اعْتِزَامِي

٥ - وقال التهامي يرثي مولوداً:

وهلالُ أيامٍ مَضَى لم يكتمل بَدْراً ولم يُمْهَل لوقْتِ سِرَارِ

٦- وقال شاعر النيل حافظ إبراهيم بك:

أهــلا بنابِتَــةِ البــلادِ ومرحبــاً ... جَدَّدْتُــمُ العهــد الذي قــد أخْلَقَا
لا تيأســوا أن تســتردُّوا مجدَكُــم ... فلربَّ مغلــوبٍ هَوَى ثــم ارْتَقَى
مَــدَّتْ له الآمــالُ مــن أفلاكها ... خَيْــطَ الرَّجــاءِ إلى العُلا فتَسَــلَّقَا

٧- وقال أيضاً:

فيا قلبُ لا تجزع إذا عَضَّك الأســى ... فإنــك بعــد اليــوم لــن تتألَّما

٨- وقال أيضاً يرثي الأستاذ الشيخ محمد عبده:

زَرَعْتَ لنــا زَرْعاً فأخْرَجَ شَــطْأَهُ ... وبِنْــتَ ولــمَّا نَجْتَــنِ الثَّمَرَاتِ

٩- وقال أيضاً يرثي إسماعيل صبري باشا:

خَلَعْــتَ الشــباب فلــم تَبْكِــهِ ... وســاءَكَ أنَّــك لمْ تُحْتَــضَرْ
وقــد ذُقْــتَ طَعْم الــرَّدى عندما ... أُصِيــب قِطَــارُك يــوم السَّــفَرْ

١٠- وقال أيضاً على لسان غادة يابانية:

عقَّنــي الدَّهْــرُ ولــولا أننــي ... أُوْثِــرُ الحُسْــنَى عَقَقْــتُ الأدبــا
إيهِ يــا دُنْيَــا اعْبِسي أو فابْسِــمي ... لا أرى بَرْقَــكِ إلا خُلَّبَــا

١١- وقال:

ولَرُبَّــما ضَــنَّ الفقــير بقُوتِــهِ ... وَسَــخَا بِــمُهْجَتِهِ على مَنْ يَغْصِبُ

١٢- وقال أيضاً:

أيُّهــا القائــم بالأمْــرِ لقــد ... قُمْــتَ في الناس فأحســنت القياما
جَــرِّدِ الــرَّأْيِ فكــم رأْيٍ إذا ... سُــلَّ من غِمْدِ النهى فَلّ الحُســاما

الجواب

١- في قوله تعالى: (الظلمات) استعارة، والتشبيه الذي تنبني عليه هذه الاستعارة هو أن تُشَبَّهَ الضلالة وكل ما هو بدعة بالظلمة، والمعنى المراد من لفظ الظلمات: الضلالات.

وفي قوله سبحانه: (النور) استعارة أيضاً، والتشبيه الذي تنبني عليه هذه الاستعارة أن يُشَبَّه الهدى وكل ما هو حق بالنور، والمراد من النور هنا: الهُدى، والقرينة على أنه لا يُرَاد بهذين اللفظين معناهما الأصلي: صَدْرُ الآية، فإن الكتاب الذي هو القرآن الكريم إنما يخرج الناس من ضلالاتهم إلى الهداية التي أرادها سبحانه من إنزاله.

٢- (الخطوب): جمع خَطْب، وأراد به هنا حادث الدهر والنازلة من نوازله، و(امتطينا) في الأصل معناه: ركبنا مطَاهَا؛ وهو ظهرها؛ لتوصلنا إلى مقصدنا، وأراد هنا: توسلنا بها وجعلناها سبباً لقصد الممدوح، والتشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة: أن يشبه التوسل بالشيء بركوب الدابة بجامع أن كلا منهما يكون وصلة إلى أمر مرغوب فيه، والقرينة على أنه لم يرد من قوله: (امتطينا) معناه الأصلي: قوله: (الخطوبا) فإنه لا ظهر للخطوب حتى يركبه.

٣- يجوز أن يكون التجوّز في هذا البيت في قوله: (بنيت)، وتكون الاستعارة تبعية، والتشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة: أن يشبه تحصيل الشيء ببناء البيت ونحوه بجامع احتياج كل منهما إلى كدح وتعب، والقرينة على هذا التجوز: قوله: (فخارا).

ويجوز أن يكون التجوز في قوله: (فخارا). والتشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة: أن يشبه الفخار بالبيت ونحوه مما يُبنى تشبيهاً مضمراً في النفس،

ثم حذف المشبّه به -وهو البيت-، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (بنيت)، والقرينة على أنه لم يرد بالفخار معناه الأصلي: قوله: (بنيت).

والاستعارة على الأول استعارة تبعية، والاستعارة على الوجه الثاني استعارة مكنية، وبيانها الذي أشرنا إليه هو مذهب «الخطيب».

٤- يجوز أن يكون التجوّز في هذا البيت في قوله: (مرض)، وقوله: (حُمَّ). ويكون في كل واحد من هذين اللفظين استعارة تبعية، ويكون الشاعر قد شبه الضعف بالمرض وبنزول الحمى.

ويجوز أن يكون التجوّز في قوله: (اصطباري) و(اعتزامي)، ويكون في كل واحد منهما استعارة مكنيّة، فيكون قد شبّه كلا من الاعتزام والاصطبار بإنسان يطرأ عليه المرض والحمى تشبيهاً مضمراً في النفس، ثم حذف المشبّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، والقرينة هي قوله: (مرض) في الأول، وقوله: (حم) في الثاني.

٥- التجوّز في هذا البيت في قوله: (وهلال أيام)، وفيه استعارة أصلية، وأراد به غلاماً صغيراً، والتشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة: أنه شبّه الغلام الذي يرثيه بهلال مضت عليه أيام، ثم استعار اللفظ الموضوع للمشبه به، وهو (هلال أيام) للمشبه وهو الغلام الصغير.

٦- التجوّز في هذه الأبيات في قوله: (الآمال) في البيت الثالث، وقد شبّه الشاعر الآمال بإنسان يريد أن ينقذ غريقاً مثلا، فيُلقي له حبلاً في اليم ليتعلّق به تشبيهاً مضمراً في النفس، ثم حذف المشبّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: (مدت) وقوله: (خيط الرجاء) وإسناد (مدت) إلى الآمال قرينة دالة على أنه لم يرد المعنى الأصلي.

٧- التجوّز في قوله: (عَضَّكَ) وأصل معنى العضّ: الضغط بالأسنان على جسم ليِّن فتؤثّر فيه، والمعنى المراد: أثَّرَ فيك، وقد شبه التأثير مطلقاً بالعضّ، واستعار العض للتأثير، ثم اشتق من العضّ بمعنى التأثير عضّ بمعنى أثر فيك، والقرينة الدالة على أنه لم يرد المعنى الأصلي للعضّ أنه جعل فاعل (عضّ) هو قوله (الأسى) ومعناه الحزن، ولا يتأتى منه العضّ الحقيقي.

ويجوز أن يجعل التجوّز في قوله: (الأسى) على أن يشبه بحيوان يعضّ على طريق الاستعارة بالكناية، وقد ذكرنا لذلك نظائر في الأبيات السابقة.

٨- التجوّز في هذا البيت في قوله: (زرعا) وأراد به مبادئ الإصلاح الديني والاجتماعي الذي كان الشيخ الذي يرثيه قد جعل هجيراه بيانَهُ لتلاميذه، وقد شبّه مبادئ هذا الإصلاح بالزرع بجامع أنّ كلّ واحدٍ منهما يتعهّده صاحبه حتى ينمو ويؤتي ثمرته، وقوله: (زرعت) وقوله: (فأخرج شطأه)، وقوله: (ولما نجتن الثمرات) مما يناسب المشبّه به.

٩- لم تُحتضر -بالبناء للمجهول-: لم تمت شاباً غضًّا، والردى: الهلاك والموت. وفي قوله: (الشباب) تجوّز، وأصل معنى الشباب: فتاء السن، وأراد به ثوباً من الثياب يخلعه الإنسان بعد استعماله مدة، وقد شبّه الشباب بثوب ثم حذف المشبّه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (خلعت)، وهذه الكلمة قرينة على أن المراد بالشباب غير معناه الأصلي.

وفي قوله: (طعم الردى) تجوّز، فإنه أراد بالردى شيئاً مرّ الطعم كريه المذاق، شبّه الردى بالشيء المذكور تشبيهاً مضمراً في النفس، ثم حذف المشبّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (طعم)، والقرينة على أنه لم يرد بالردى معناه الأصلي: إثبات الطعم له، وقوله: (ذقت) مما يلائم المشبّه به.

١٠- العقوق في الأصل: إساءة الولد أباه وعدم الإحسان إليه، وأوثر: أُفَضِّل، وفي قوله: (عقني الدهر) تجوّز، وهو يحتمل وجوهاً:

الأول: أن يكون أصل الكلام: عقني بنو الدهر، فيكون مجازاً بالحذف نظير قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف:٨٢] فإن الأصل -والله أعلم-: واسأل أهل القرية وراكبي العير.

ويحتمل أن يكون شبّه الدهر بأبناء لا يحسنون إلى أبيهم، ثم حذف المشبّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (عَقَّني)، والقرينة: إسناد العقوق إليه.

ويحتمل أن يكون قد شبّه مجيء حوادث الدهر على غير ما يحب بالعقوق على طريق الاستعارة التبعية.

وفي قوله: (اعبسي أو فابسمي) تجوّز، وأصل العبوس تقطيب الوجه وتكشيره، وأراد منه: لتَأْتِ حوادثك على غير ما تحب، وأصل الابتسام: الضحك، وأراد منه: لتأت حوادثك على وفق ما تهوى، فشبّه إتيان الحوادث على غير ما يحب بالعبوس، وشبّه مجيء حوادثها على وفق ما يحب بالابتسام على طريق الاستعارة التبعية، والقرينة استحالة العبوس والضحك الحقيقيين على الدنيا.

١١- المهجة هنا: القلب، وسخا بها: جاد وطابت نفسه ببذلها، والتجوّز في قوله (بمهجته) فإنه استعار المهجة للشيء الذي يبذله الكرام، وذلك أنه شبه ما يبذله الكريم للضيف ونحوه من الألطاف بالمهجة، ثم استعار اللفظ الموضوع للمشبّه به للمشبّه، والقرينة على أنه لم يرد المعنى الأصلي قوله: (سخا).

١٢- تقول: (جَرَّد فلان سيفه) تريد أنه أخرجه من غمده، و(سَلَّ سيفه) بمعناه، وغِمْد السيف -بكسر الغين وسكون الميم-: جرابه، والنُّهى: جمع نُهْية، وهي العقل، وفل الحسام: ثلم حده.

والتجوّز في هذين البيتين في قوله: (الرأي) وأصل معناه إجالة الفكر في الأمر لتتضح حقيقته ووجه المصلحة فيه، وقد شبّه الرأي بالسيف بجامع أنّ كلّ واحد منهما يكون استعماله فَصْلاً في موارد الاختلاف، ثم حذف المشبّه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: (جَرَّد).

فأما قوله: (سُلّ من غمد النهى) فمما يناسب المشبّه به، وفي قوله: (غمد النهى) إضافة المشبّه به إلى المشبّه: أي عقل كالغمد، وهو نظير (ذَهَبُ الأصيل).

الاستعارة وفاقية، أو عنادية

وتنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين -المستعار منه، والمستعار له- إلى قسمين؛ لأن اجتماع الطرفين في شيء:

إما ممكن، نحو: (أحييناه) في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي: ضالاً فهديناه، استعار الإحياء من معناه الحقيقي، وهو جعل الشيء حياً، للهداية التي هي الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب، والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء واحد، وهذا أولى من قول المصنف: «إن الحياة والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء واحد»؛ لأن المستعار منه هو الإحياء لا الحياة، وإنما قلنا: «نحو: أحييناه» لأن الطرفين في استعارة الميت للضال مما لا يمكن اجتماعهما في شيء، إذ الميت لا يوصف بالضلالة، وتُسمّى الاستعارة التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء: **وفاقية**؛ لما بين الطرفين من الاتفاق.

وإما ممتنع، كاستعارة اسم المعدوم للموجود؛ لعدم غَنَائه: أي لانتفاء النفع في ذلك الموجود كما في المعدوم، ولا شك أن اجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع، وكذلك استعارة اسم الموجود لمن عُدم وفُقد، ولكن بقيت آثاره الجميلة التي تُحيي ذكره وتُديم في الناس اسمه، وتُسمّى الاستعارة التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء: **عنادية**، لتعاند الطرفين وامتناع اجتماعهما.

من العنادية التهكمية والتمليحية:

ومن **العنادية**: الاستعارة التهكمية، والاستعارة التمليحية.

وحقيقتهما أنهما: الاستعارة التي استعملت في ضد معناها الحقيقي، أو نقيضه، لما مر، أي: لتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب، بواسطة تمليح أو

تهكم، على ما سبق تحقيقه في باب التشبيه، نحو: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١] أي: أنذرهم، استعيرت البشارة التي هي الإخبار بما يظهر سروراً في المخبر به للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء، وكقولك: (رأيت أسدا) وأنت تريد جباناً، على سبيل التمليح والطرافة، ولا يخفى امتناع اجتماع التبشير والإنذار من جهة واحدة، وكذا الشجاعة والجبن.

الجامع بين الطرفين داخل مفهومهما أو غير داخل:

وتنقسم الاستعارة -باعتبار الجامع، أي: ما قد قصد اشتراك الطرفين فيه- إلى قسمين، لأن الجامع:

إما **داخل في مفهوم الطرفين** المستعار له والمستعار منه، نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه، كلما سمِع هَيْعة طار إليها، أو رجل في شعفة في غُنيمة له يعبد الله حتى يأتيه الموت»، وقال «جار الله»: الهيعة: الصيحة التي يُفزع منها، وأصلها من هاع يهيع إذا جبن، والشعفة: رأس الجبل.

والمعنى: خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه؛ واستعد للجهاد في سبيل الله، أو رجل اعتزل الناس وسكن في رؤوس بعض الجبال في غنم له قليل يرعاها ويكتفي بها في أمر معاشه، ويعبد الله حتى يأتيه الموت، استعار الطيران للعَدْو، والجامع داخل في مفهومها، فإن الجامع بين العَدْو والطيران هو قطع المسافة بسرعة وهو داخل في مفهوم العَدْو والطيران إلا أنه في الطيران أقوى منه في العَدْو.

والأظهر أن الطيران هو قطع المسافة بالجناح، والسرعة لازمة له في الأكثر، لا داخلة في مفهومه، فالأَولى أن يمثّل باستعارة التقطيع الموضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام الملتزقة بعضها ببعض؛ لتفريق الجماعة وإبعاد بعضها عن بعض، في قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗا ﴾ [الأعراف:١٦٨]، والجامع إزالة الاجتماع الداخلة في مفهومها، وهي في القطع أشد، والفرق بين هذا وبين إطلاق المرسن على الأنف -مع أن في كلٍّ من المرسن والتقطيع خصوصُ وصفٍ ليس في الأنف وتفريق الجماعة- هو أن خصوص الوصف الكائن في التقطيع مرعيٌّ وملحوظ في استعارته لتفريق الجماعة، بخلاف خصوص الوصف في المرسن، والحاصل أن التشبيه ههنا منظور وملحوظ ضمناً، بخلافه ثمّة.

فإن قلت: قد تقرر في غير هذا الفن أن جزء الماهية لا يختلف بالشدة والضعف، فكيف يكون جامعاً، والجامع يجب أن يكون في المستعار منه أقوى؟

قلت: امتناع الاختلاف إنما هو في الماهية الحقيقية، والمفهوم لا يجب أن يكون ماهية حقيقية، بل قد يكون أمراً مركباً من أمور بعضُها قابلٌ للشدة والضعف، فيصح كون الجامع داخلاً في مفهوم الطرفين، مع كونه في أحد المفهومين أشد وأقوى، ألا ترى أن السواد جزء المفهوم من الأسود -أعني المركّب من السواد والمحلِّ- مع اختلافه بالشدة والضعف ؟.

وإما أن يكون **غير داخل في مفهوم الطرفين**، كما مر من استعارة الأسد للرجل الشجاع، والشمس للوجه المتهلل، ونحو ذلك، لظهور أن الشجاعة عارض للأسد، لا داخل في مفهومه، وكذا التهلل للشمس.

الاستعارة إما عامية، وإما غريبة:

للاستعارة تقسيم آخر باعتبار الجامع، وهو أنها: إما عامية، وهي المبتذلة، لظهور الجامع فيها، نحو: (رأيت أسداً يرمي)، أو خاصية وهي الغريبة التي لا يطَّلِع عليها إلا الخاصة الذين أوتوا ذهناً به ارتفعوا عن طبقة العامة.

والغرابة قد تكون في نفس الشّبه: بأن يكون تشبيهاً فيه نوع غرابة، كما في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان في وصف الفرس بأنه مؤدب، وأنه إذا نزل صاحبه عنه وألقى عنانه في قَرَبُوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه:

وإذا احْتَبَى قَرَبُوسه بِعِنَانِهِ عَلَكَ الشّكيم إلى انصِراف الزّائرِ

(قربوسه): مُقَدّم سرْجه، و(الشكيم) وكذا الشكيمة: هي الحديدة المعترضة في فم الفرس، وأراد بالزائر: نفسه، شبّه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتداً إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتي المحتبي إلى جانب ظهره، ثم استعار الاحتباء -وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره- لوقوع العنان في قربوس السرج، فجاءت الاستعارة غريبة، لغرابة الشبه.

التصرف في العامية بما يجعلها غريبة:

وقد تحصل الغرابة بتصرُّفٍ في الاستعارة العامية، كما في قول كُثير عزة:

ولمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنى كلَّ حاجَةٍ ومَسَّحَ بالأركان مَنْ هوَ ماسِحُ
وشُدّتْ على دُهْم المطايا رحالنا ولم يعرف الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المطيِّ الأباطِحُ

(الأباطح): جمع أبطح، وهو مسيل الماء فيه دُقَاق الحصى، استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيراً حثيثاً في غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة، والشبه فيها ظاهر عامي، لكن قد تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة؛ إذ أسند الفعل الذي هو (سالت) إلى الأباطح، دون المطي أو أعناقها، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الإبل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم:٤]، وأدخل الأعناق في السير؛ لأن السرعة والبطء في سير الإبل يظهران غالباً في الأعناق، ويتبين أمرهما في الهَوَادي، وسائر الأجزاء تستند إليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة.

تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع والمستعار منه، وله:

وتنقسم الاستعارة -باعتبار الثلاثة: المستعار منه، والمستعار له، والجامع- إلى ستة أقسام؛ لأن المستعار منه والمستعار له إما: حِسّيان، أو عقليان، أو المستعار منه حِسّي والمستعار له عقلي، أو بالعكس، فتصير أربعة، والجامع في الثلاثة الأخيرة عقلي لا غير، لما سَبَق في التشبيه، لكنه في القسم الأول إما حِسّي أو عقلي، أو مختلف، تصير ستة.

فإن كان الطرفان حِسّيين:

فالجامع إما أن يكون حِسّياً، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٨]، فإن المستعار منه ولد البقرة، والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حلي القبط التي سبكتها نار «السامري» عند إلقائه في تلك الحلي التربة التي أخذها من موطئ فرس جبريل عليه السلام، والجامع لهما الشكل، فإن ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة، والجميع -من المستعار منه المستعار له والجامع- حِسّي، أي: مُدْرَكٌ بالبصر.

وإما أن يكون الجامع **عقلياً**، نحو: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [يس:٣٧] فإن المستعار منه معنى السلخ، وهو كشط الجلد عن نحو الشاة، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل، وهو موضع إلقاء ظله، وهما حِسّيان، والجامع ما يعقل من ترتّب أمر على آخر -أي: حصوله عقيب حصوله، دائما أو غالباً- كترتّب ظهور اللحم على الكشط، وترتّب ظهور الظلمة عن كشف الضوء عن مكان الليل، والترتّب أمرٌ عقلي.

وبيان ذلك أن الظلمة هي الأصل، والنور فرع طارئ عليها يسترها بضوئه، فإذا غربت الشمس فقد سُلخ النهار عن الليل، أي: كشط وأزيل كما يكشف عن الشيء الشيء الطارئ عليه الساتر له، فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزل ظهور المسلوخ بعد سلخ إهابه عنه، وحينئذ صح قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ [يس: ٣٧]؛ لأن الواقع عُقيب إذهاب الضوء عن مكان الليل هو الإظلام.

وأما على ما ذكر في «المفتاح» -من أن المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل- ففيه إشكال؛ لأن الواقع بعده إنما هو الإبصار دون الإظلام.

وحاول بعضهم التوفيق بين الكلامين، بحمل كلام صاحب «المفتاح» على القلب: أي ظهور ظلمة الليل من النهار، أو بأن المراد من الظهور التمييز، أو بأن الظهور بمعنى الزوال كما في قول الحماسي:

* وذلك عارٌ، يابْنَ رَيْطَةَ، ظَاهِرُ *

وفي قول أبي ذؤيب:

* وتلك شَكَاةٌ ظاهِرٌ عَنْك عَارُها *

أي: زائل

وذكر العلامة في «شرح المفتاح» أن السّلخ قد يكون بمعنى النّزع، مثل: (سلختُ الإهابَ من الشاة)، وقد يكون بمعنى الإخراج نحو: (سلخت الشاة عن الإهاب)، فذهب صاحب «المفتاح» إلى الثاني، وصح قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧] بالفاء؛ لأن التراخي وعدمه مما يختلف باختلاف الأمور والعادات، وزمان النهار وإن توسط بين إخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام، لكن لعظم شأن دخول الظلام بعد إضاءة النهار، وكونه مما ينبغي أن لا يحصل إلا في أضعاف ذلك الزمان من الليل، عُدَّ الزمان قريباً، وجعل الليل كأنه يفاجئهم عقيب إخراج النهار من الليل بلا مهلة، وعلى هذا حسن (إذا) المفاجأة، كما يقال: أخرج النهار من الليل ففاجأه دخول الليل، ولو جعلنا السلخ بمعنى النزع وقلنا: نزع ضوء الشمس عن الهواء ففاجأه الظلام لم يستقم، أو لم يحسن، كما إذا قلنا: كسرت الكوز ففاجأه الانكسار.

وإما أن يكون الجامع **مختلفاً**؛ بعضُه حِسّي وبعضُه عقلي كقولك: (رأيت شمساً)، وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة، وهو حِسّي؛ ونباهة الشأن وهي عقلية.

وإن لم يكن الطرفان حِسّيين فهُما:

إما **عقليان**، نحو قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] فإن المستعار منه: الرقاد ، أي النوم، على أن يكون المرقد مصدراً ميمياً وتكون الاستعارة أصلية، أو على أنه بمعنى المكان؛ إلا أنه اعتبر التشبيه في المصدر؛ لأن المقصود بالنظر في اسم المكان وسائر المشتقات إنما هو المعنى القائم بالذات،

لا نفس الذات، واعتبار التشبيه في المقصود الأهم أولى، وستسمع لهذا زيادة تحقيق في الاستعارة التبعية. والمستعار له: الموت، والجامع: عدم ظهور الفعل، والجميع عقلي، وقيل: عدم ظهور الأفعال في المستعار له -أعني الموت- أقوى، ومن شرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى، فالحق أن الجامع هو البعث(١) الذي هو في النوم أظهر وأشهر وأقوى؛ لكونه مما لا شبهة فيه لأحد، وقرينة الاستعارة هي: كون هذا الكلام كلام الموتى، مع قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

وإما أن يكون أحد الطرفين حِسّياً والآخر عقلياً، والحِسّي هو المستعار منه، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فإن المستعار منه: كسر الزجاجة، وهو حِسّي، والمستعار له: التبليغ، والجامع: التأثير، وهما عقليان، والمعنى: أَبِنِ الأمرَ إبانةً لا تنمحي، كما لا يلتئم صدع الزجاجة.

وإما أن يكون الطرفان مختلفين، والحِسّي هو المستعار له، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١] فإن المستعار له: كثرة الماء، وهو حِسّي، والمستعار منه: التكبر، والجامع: الاستعلاء المفرط، وهما عقليان.

(١) المراد من البعث حينئذ رد الإحساس الذي كان موجوداً من قبل، وبهذا التفسير يكون مشتركاً بين الإيقاظ من النوم والإحياء من الموت.

تمرينات

١- التمرين الأول:

بيّن في كل استعارة من الاستعارات الواردة في العبارات التي نذكرها فيما بعد الأمور الآتية:

أ- اللفظ الذي فيه الاستعارة.

ب- القرينة الدالة على أنه غير مستعمل في معناه الأصلي.

ج - نوع الاستعارة، من جهة كونها عنادية أو وفاقية، مع التوجيه.

د - نوع الاستعارة، من جهة كون طرفي التشبيه الذي انبنت عليه حِسّيين أو عقليين أو مختلفين، مع البيان.

١- قال امرؤ القيس بن حجر الكندي يصف طول الليل:

وَلَيلٍ كَموجِ البحر أرْخَى سُدُولهُ عليَّ بأنواع الهموم لِيبتَلي

فقلتُ له لما تَمَطَّى بصُلْبه وأرْدَفَ أعجازاً ونَاءَ بِكَلْكَل:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بِصُبْحٍ، وما الإصبْاحُ منك بأَمْثَلِ

٢- وقال ابن المعتز:

سَالَتْ عليه شعَابُ الحي حين دعا أنْصارَهُ بوجوهٍ كالدنانير

٣- وقال الله تعالى:

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

٤- وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس:٣٧].

٥- وقال جل شأنه:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩].

٦- وقال سبحانه وتعالى:

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

٧- وقال الشاعر:

قد نَعِمْنا بليلة ليس لِلْهَمِّ ... قِرى فيها سوى الإزعاج

٨- وقال دِعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سَلْمَ من رجُلٍ ... ضَحِكَ المشيب برأسه فَبَكى

٩- وقال أبو العتاهية:

أَتَتْهُ الخِلافُة مُنْقادةً ... إليه تُجَرِّرُ أذيالها

١٠- وقال السري الرَّفّاء:

مَواطنُ لم يسحب بها الغيُّ ذيلَهُ ... وكم للعوالي بينها من مَسَاحِبِ

١١- وقال ابن المعتز:

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمام ... قَتَلَ البُخل وأحيا السَّماحا

١٢- وقال السَّرِي الرفّاء يصف القلم:

وأهْيفَ إن زعزعتْهُ البنا ... نُ أمطر في الطرس ليلا أَحَم

١٣- وقال أبو الطيب المتنبي:

المجد عُوفيَ إذْ عُوفيتَ والكرمُ ... وزالَ عنكَ إلى أعدائك الألمُ

٢- التمرين الثاني:

بيّن في كل استعارة من الاستعارات الواردة في العبارات التي نذكرها فيما بعدُ الأمورَ الآتية.

أ- اللفظ الذي فيه الاستعارة، ومعناه الأصلي، ومعناه المراد.

ب- القرينة الدالة على أنه مستعمل في غير معناه الأصلي.

ج - نوع الاستعارة من جهة كونها عامية مبتذلة أو غريبة، مع التوجيه.

١- قال أحمد شوقي بك:

كفى بالموت للنُّذُر ارتجالا ... وللعَبَرات والعِبَرِ اختراعا

حكيمٌ صامتٌ فَضَحَ الليالي ... ومَزّق عن خنا الدنيا القِناعا

إذا حَضَر النفوسَ فلا نعيما ... تَرَى حولَ الحياةِ ولا متاعا

٢- وقال الشاعر:

ضَعِ السرَّ في صَمَّاءَ ليست بصخرة ... صَلُود، كما عَايَنْتَ من سائر الصّخر

٣- وقال الشاعر:

أنفَقْتُ عُمْرِي في رضاك وليتَني ... أُعْطَى وُصولا بالذي أنا مُنْفِقُ

٤- وقال الشاعر:

إذا ما الدهر جَرَّ على أُناس ... كَلَاكِلَهُ أناخَ بآخَرِينا

٥- وقال الشاعر:

ولم نر شيئاً كان أحسنَ منظراً ... من الروض يجري دمعُهُ وهو يضحَكُ

٦- وقال الشاعر:

بكت لؤلؤا رَطْبـــاً ففاضت مدامعي عقيقاً، فصار الـــكلُّ في نحرِها عِقْدَا

٧- وقال الشاعر:

وأعِـــدْ لي حدِيثَـــهُ فَلِسَـــمْعِي فـــرطُ وَجْـــدٍ باللؤلـــؤ المنثـــور

٨- وقال الشاعر:

إذا انتضل القـــومُ الأحاديثَ لم يكن عَيِيًّـــا ولا ربًّـــا عـــلى مـــن يُقاعِد

٩- وقال أحمد شوقي بك يرثي إسماعيل صبري باشا:

فُجِعَتْ رُبى الـــوادي بواحِدِ أيكِهَا وتَجَرَّعـــت ثُـــكْلَ الغديـــر الصَّافي

فقَـــدَت بنانـــاً كالربيـــع مُجيـــدةً وَشْيَ الريـــاض وصنْعَـــة الأفواف

نَمْ مِـــلْءَ جَفْنك فالغُـــدُوُّ غوافلٌ عـــمّا يرُوعُـــك، والعـــشيُّ غَوافِ

١٠- وقال يرثي سعد زغلول باشا:

شـــيَّعوا الشـــمس ومالوا بضُحَاها وانحنـــى الـــشرقُ عليهـــا فبكاها

جلّـــلَ الصبـــحَ ســـواداً يومُهـــا فـــكأنّ الأرضَ لم تخلـــع دُجاهـــا

انظـــروا تَلْقَـــوْا عليهـــا شَـــفَقاً من جِراحـــاتِ الضحايـــا ودِماها

تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية:

تنقسم الاستعارة -باعتبار اللفظ المستعار- إلى قسمين: أصلية، وتبعية.

وذلك لأن اللفظ المستعار إن كان اسمَ جنسٍ حقيقةً أو تأويلاً كما في الأعلام المشتهرة بنوع وصفِيّة فالاستعارة **أصلية**، كـ(أسد) إذا استعير للرجل الشجاع، و(قَتْل) إذا استعير للضرب الشديد: الأول اسم عين، والثاني اسم معنى.

وإن لم يكن اللفظ المستعار اسمَ جنسٍ فالاستعارة **تبعية**، كالفعل، وما يُشتقّ منه -مثل اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبّهة، وغير ذلك-، والحرف.

وإنما كانت تبعية لأن الاستعارة تَعتَمِد التشبيه، والتشبيه يقتضي كون المشبّه موصوفا بوجه الشبه، أو بكونه مشاركاً للمشبه به في وجه الشبه، وإنما يصلح للموصوفِيّة الحقائقُ: أي الأمور المقررة الثابتة، كقولك: جسم أبيض، وبياض صاف، دون معاني الأفعال والصفات المشتقة؛ لكونها متجددة غير متقررة، بواسطة دخول الزمان في مفهوم الأفعال وعروضه للصفات، ودون الحروف، وهو ظاهر.

كذا ذكروه، وفيه بحث؛ لأن الدليل -بعد استقامته- لا يتناول اسم الزمان والمكان والآلة؛ لأنها تصلح للموصوفية، وَهُم أيضاً صَرَّحوا بأن المراد بالمشتقات هو الصفات دون أسماء الزمان والمكان والآلة، فيجب أن تكون الاستعارة في اسم الزمان ونحوه أصلية، بأن يُقَدّر التشبيه في نفسه لا في مصدره، وليس كذلك، للقطع بأنّا إذا قلنا: (هذا مَقْتَلُ فلان) للموضع الذي ضُرِب فيه ضرباً شديداً، أو (مرقد فلان) لقبره، فإن المعنى على تشبيه الضرب

بالقتل، والموت بالرقاد، وأن الاستعارة في المصدر، لا في نفس المكان.

بل التحقيق أن الاستعارة في الأفعال وجميع المشتقات التي يكون القصد بها إلى المعاني القائمة بالذوات تبعية؛ لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الأهمُّ الجديرُ بأن يُعتبر فيه التشبيه، وإلا لذكرت الألفاظ الدالة على نفس الذوات، دون ما يقوم بها من الصفات.

فالتشبيه في الأولين -أي: في الفعل، وما يشتق منه- لمعنى المصدر، وفي الثالث -أي: الحرف- لمتعلّق معناه، أي: لما تعلق به معنى الحرف.

قال صاحب «المفتاح»: المراد بمتعلقات معاني الحروف ما يُعبّر بها عنها عند تفسير معانيها، مثل قولنا: («مِن» معناها: ابتداء الغاية) و(«في» معناها: الظرفية) و(«كي» معناه: الغَرَض) فهذه ليست معاني الحروف، وإلا لما كانت حروفاً، بل أسماء؛ لأن الاسمية والحرفية إنما هي باعتبار المعنى، وإنما هي متعلقات لمعانيها، أي: إذا أفادت هذه الحروف معاني ترجع تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام، لا مطابقة، فقول المصنف في تمثيل متعلق معنى الحرف «كالمجرور في: زيد في نعمة» ليس بصحيح.

وإذا كان التشبيه لمعنى المصدر ولمتعلق معنى الحرف فيُقدّر التشبيه في (نَطَقَت الحال) و(الحال ناطقة بكذا) للدلالة بالنطق، أي: يجعل دلالة الحال مشبّها، ونطق الناطق مشبّها به، ووجه الشبه إيضاح المعنى وإيصاله إلى الذهن، ثم يستعار للدلالة لفظ النطق، ثم يشتق من النطق المستعار الفعل والصفة، فتكون الاستعارة في المصدر أصلية، وفي الفعل والصفة تبعية.

وإن أطلق النطق على الدلالة، لا باعتبار التشبيه، بل باعتبار الدلالة لازمة له، يكون مجازاً مُرسلاً، وقد عرفتَ أنه لا امتناع في أن يكون اللفظ الواحد

بالنسبة إلى المعنى الواحد استعارة ومجازاً مرسلاً باعتبار العلاقتين.

ويقدّر التشبيه في لام التعليل في نحو قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط، بعلَّة الالتقاط الغائيَّة كالمحبة والتبنّي، في الترتيب على الالتقاط والحصول بعده، ثم استعمل في العداوة والحزن ما كان حقّه أن يستعمل في العلة الغائِيَّة، فتكون الاستعارة فيها تبعاً للاستعارة في المجرور.

وهذا الطريق مأخوذ من كلام صاحب «الكشاف»، ومبنيٌّ على أن متعلق معنى اللام هو المجرور على ما سبق، لكنه غير مستقيم على مذهب «الخطيب» في الاستعارة المصرحة؛ لأن المتروك يجب أن يكون هو المشبّه، سواء كانت الاستعارة أصلية أو تبعية، وعلى هذا الطريق: المشبَّه -أعني العداوة والحزن- مذكورٌ لا متروك.

بل تحقيق الاستعارة التبعية ههنا أنه شبَّه ترتُّب العداوة والحزن على الالتقاط بترتيب علته الغائية عليه، ثم استعمل في المشبّه اللام الموضوعة للمشبه به -أعني ترتّب علة الالتقاط الغائية عليه- فجرت الاستعارة أولا في العِلِّيَّة والغرضِيَّة، وبتبعيتها في اللام؛ كما في (نطقت الحال) فصار حكم اللام مثل حكم الأسد حيث استعيرت لما يُشْبه العلية، وصار متعلق معنى اللام هو العِلِّيَّة والغرضِيَّة ، لا المجرور على ما ذكر المصنف سهواً.

قرينة التبعية:

قد يكون مَدَار قرينة الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه: على **الفاعل**؛ نحو: (نطَقَت الحالُ بكذا) فإن النطق الحقيقي لا يسند إلى الحال.

وقد يكون مدار القرينة: **على المفعول**، نحو قول ابن المعتز:

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمام ... قَتَلَ البخل وأحيا السَّماحا

فإن القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلَّقان بالبخل والجود، ونحو قول القَطامي:

نَقْرِيهُمُ لهذمِيَّات نَقُدُّ بها ... ما كان خاطَ علَيهِم كلُّ زَرَّادِ

اللّهذم من الأسنة: القاطع، فأراد بلهذميات: طعنات منسوبة إلى الأسنة القاطعة، أو أراد نفس الأسنة، والنسبة للمبالغة كأحمريٍّ، والقد: القطع، وزَرَد الدرع، وسردها: نسجها، فالمفعول الثاني -أعني لهذميات- قرينة على أن (نقريهم) استعارة.

وقد يكون مدار القرينة: **على المجرور**، نحو قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] فإن ذكر العذاب قرينة على أن (بَشِّر) استعارة تبعية تهكمية.

وإنما قلنا: «ومدار قرينتها على كذا» لأن القرينة لا تنحصر فيما ذكر، بل قد تكون حالية، كقولك: (قتلت زيدا) إذا كنتَ قد ضربتَه ضرباً شديداً.

الاستعارة مرشحة، ومجردة، ومطلقة:

وتنقسم الاستعارة -باعتبارٍ آخَرَ غير اعتبار الطرفين والجامع واللفظ- إلى ثلاثة أقسام: مرشحة، ومجردة، ومطلقة. وذلك لأنها إما أنْ لا تقترن بشيء يلائم المستعار له أو المستعار منه، وإما أنْ تقترن بما يلائم المستعار له، وإما أنْ تقترن بما يلائم المستعار منه.

فالأول: المطلقة، وهي: ما لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام مما يلائم المستعار

له أو المستعار منه، نحو: (عندي أسد)، والمرادُ بالصفة: المعنويَّةُ التي هي معنى قائم بالغير؛ لا النعت النحويّ الذي هو أحد التوابع.

والثاني: المجردة، وهي: ما قُرِنت بما يلائم المستعار له ، كقول كُثير:

غَمْرُ الرِّداء إذا تَبَسَّم ضاحكا غَلِقَتْ لِضِحكَتِهِ رِقابُ المال

(غمر الرداء) أي: كثير العطاء، استعار الرداء للعطاء؛ لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه، ثم وصفه بالغمر الذي يناسب العطاء دون الرداء، تجريداً للاستعارة، والقرينة: سياق الكلام، أعني قوله: (إذا تبسم ضاحكا) أي: شارعاً في الضحكِ آخِذا فيه، وقوله (غَلِقَت لضحكته رقاب المال) أي: إذا تبسم غَلِقَت رقاب أمواله في أيدي السائلين يقال: «غلق الرهن في يد المرتهن» إذا لم يقدر على افتِكاكه.

والثالث: المرشحة، وهي ما قرنَتْ بما يلائم المستعار منه، نحو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ [البقرة: ١٦] استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار، ثم فرّع عليها ما يلائم الاشتراء من الربح والتجارة.

وقد يجتمع التجريد والترشيح ، كقول زهير بن أبي سلمى المزني:

لَدَى أسدٍ شَاكِي السلاح مُقَذَّفٍ له لِبَدٌ أظفارُهُ لم تُقَلّمِ

فقوله: (شاكي السلاح) تجريد؛ لأنه وصف بما يلائم المستعار له، أعني الرجل الشجاع، وقوله: (مقذف له لبد أظفاره لم تقلم) ترشيح؛ لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه، أعني الأسد الحقيقي، و(اللبد): جمع لبدة، وهي ما تَلَبَّد من شعر الأسد على منكبيه، والتقليم: مبالغة القَلْم، وهو القَطْع.

والترشيح أبلغ من الإطلاق والتجريد، وأبلغ من الجمع بين التجريد والترشيح؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه؛ لأن في الاستعارة مبالغة في التشبيه، فترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق لذلك وتقوية له، ومبنى الترشيح على تناسي التشبيه، وادّعاء أن المستعار له نفس المستعار منه، لا شيء شبيه به، حتى إنه يُبنى على علو القدر الذي يستعار له علو المكان ما يُبنى على علو المكان، كقول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي:

ويَصْعَدُ حتى يظُنَّ الجَهُولُ ... بأنّ لهُ حاجةً في السّما

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء في مدارج الكمال، ثم بنى عليه ما يُبنى على علو المكان والارتقاء إلى السماء من ظن الجهول أن له حاجة في السماء، وفي لفظ (الجهول) زيادة مبالغة في المدح، لما فيه من الإشارة إلى أن هذا إنما يظنه الجهول، وأما العاقل فيعرف أنه لا حاجة له في السماء، لاتِّصافه بسائر الكمالات، وهذا المعنى مما خفِي على بعضهم، فتوهَّم أن في البيت تقصيراً في وصف علوّه حيث أثبت هذا الظن للكامل الجهل بمعرفة الأشياء.

ومثل البناء على علو القدر ما يبنى على علو المكان لتناسي التشبيه نحو ما مرّ من التعجب في قول ابن العميد:

قامت تُظَلِّلُني ومن عجب ... شمسٌ تُظلِّلُني من الشَّمس

ومن النهي عن التعجب في قول ابن طباطبا العلوي:

لا تعجَبوا من بِلَى غِلَالَتِه ... قد زَرَّ أَزْرَارَهُ على القَمَرِ

إذ لو لم يقصد تناسي التشبيه وإنكاره لما كان للتعجب والنهي عنه جهة على ما سبق.

وإذا جاز البناء على الفرع -أي المشبّه به- مع الاعتراف بالأصل -أي المشبّه-، وإنما اعتبرنا المشبّه أصلاً لأن الأصل في التشبيه وإن كان هو المشبّه به من جهة أنه أقوى وأعرف، إلا أن المشبّه هو الأصل: من جهة أن الغرض يعود إليه، وأنه المقصود في الكلام بالنفي والإثبات، كما في قوله:

هي الشَّمس مسكَنُها في السماء فعزِّ الفؤاد عزاءً جميلا

فلن تستطيع إليها الصعودَ ولن تَستطيع إليكَ النُّزولا

(فعز): أمرٌ من: (عزّاه) إذا حمله على العزاء، وهو الصبر، والضمير في (إليها) راجع إلى الشمس، والعامل في (إليها) و(إليك) هو المصدر بعدهما إن جوّزنا تقديم الظرف على المصدر، وإلا فمحذوفٌ يفسِّره الظاهر، فقوله: (هي الشمس) تشبيه لا استعارة، وفي التشبيه اعتراف بالمشبّه، ومع ذلك فقد بني الكلام على المشبّه به، أعني الشمس وهو واضح.

فلأن[1] يكون البناء -مع جَحْد الأصل كما في الاستعارة- على الفرعِ أولى بالجواز؛ لأنه قد طوي فيه ذكر المشبّه أصلاً، وجعل الكلام خِلواً عنه، ونقل الحديث إلى المشبّه به، وقد وقع في بعض أشعار العجم النهي عن التعجب مع التصريح بأداة التشبيه، وحاصله: لا تعجبوا من قصر ذوائبه فإنها كالليل ووجهه كالربيع، والليل في الربيع مائل إلى القصر، وفي هذا المعنى من الغرابة والملاحة بحيث لا يخفى.

---

(١) تقدير الكلام هنا: إذا جاز البناء على الفرع مع الاعتراف بالأصل فلأن يكون البناء، فالفاء واقعة في جواب إذا.

المجاز المركب:

وأما المجاز المركب فهو: «اللفظ المستعمل فيما شُبِّهَ بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه».

ومعناه الأصلي: هو المعنى الذي يدلُّ عليه ذلك الكلام بالمطابقة.

وتشبيه التمثيل: هو ما يكون وجهُهُ منتزعاً من متعدد، واحترز بهذا عن الاستعارة في المفرد.

وذلك كما يقال للمتردد في أمر: (إني أراك تُقَدِّمُ رجلاً وتؤخر أخرى)، فإن في هذا الكلام تشبيه تردد المخاطب في الأمر بصورة تردد من قام ليذهب: فتارة يريد الذهاب فيقدِّم رِجلاً، وتارة لا يريد فيؤخِّر تلك الرِجل مرة أخرى، فاستعمل في الصورة الأولى الكلام الدال بالمطابقة على الصورة الثانية، ووجه الشبه -وهو الإقدام تارة والإحجام أخرى- مُنتزعٌ من عدة أمور كما ترى.

وهذا المجاز المركب يسمى: (التمثيل على سبيل الاستعارة)، أما تسميته تمثيلاً فلِكَون وجهه منتزعاً من متعدّد، وأما أنه على سبيل الاستعارة فلأنه قد ذكر فيه المشبّه به وأريد المشبّه، كما هو شأن الاستعارة، وقد يسمى «التمثيل» مطلقاً من غير تقييد بقولنا: «على سبيل الاستعارة»، ويمتاز عن التشبيه بأنه يقال له: تشبيهُ تمثيلٍ، أو تشبيهٌ تمثيليٌّ.

المجاز المركب قد يكون مرسلا كالمفرد:

وفي تخصيص المجاز المركب بالاستعارة نظر؛ لأنه كما أن المفردات موضوعة بحسب الشخص فالمركبات موضوعة بحسب النوع، فإذا استعمل المركب في غير ما وضع له، فلا بد من أن يكون ذلك لعلاقة، فإن كانت هي

المشابهة فاستعارة، وإلا فغير استعارة، وهو كثير في الكلام: كالجمل الخبرية التي لم تستعمل في الأخبار، وذلك نحو قول الحماسي:

هَـــوَايَ مع الركب اليَمَانِـــينَ مُصْعِد   جَنِيـــبٌ، وجُثْـــمانِي بمكـــة مُوثَقُ

فإن هذا المركب موضوع للإخبار بكون هواه -أي محبوبه- مبعداً مع الركب اليماني، وجسمه موثق بمكة، وقد استعمله في إظهار التحزن والتحسر على مفارقة المحبوب.

المثل نوع من التمثيل:

ومتى فَشَا استعمال المجاز المركّب على سبيل الاستعارة يسمّى: (مَثَلا)، ولكون المثل تمثيلاً فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا تُغَير الأمثال؛ لأن الاستعارة يجب أن تكون لفظ المشبّه به المستعمل في المشبّه، فلو غير المثل لما كان لفظ المشبّه به بعينه، فلا يكون استعارة، فلا يكون مثلاً، ولهذا لا يلتفت في الأمثال إلى مَضَاربها تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية وجمعاً، بل إنما يُنظر إلى مواردها ، كما يقال للرجل: (الصيف ضيعتِ اللبن) بكسر تاء الخطاب، لأنه في الأصل لامرأة.

تمرينات

١- التمرين الأول:

بيّن في كل استعارة من الاستعارات الواردة في العبارات التي نذكرها لك فيما بعدُ الأمورَ الآتية:

أ- اللفظ الذي فيه الاستعارة.

ب- المعنى الأصلي لهذا اللفظ والمعنى المجازي.

ج - القرينة التي صرَفَتْكَ عن إرادة المعنى الحقيقي.

د - التشبيه الذي ينبني عليه الاستعارة، مع بيان أركانه تفصيلاً.

هـ - نوع الاستعارة من جهة كونها أصلية أو تبعية، مع التوجيه.

١- قال الشاعر:

وإذا تُبَاعُ كريمةٌ أو تُشْتَرى فسِوَاك بائعُها وأنت المُشْتَري

٢- وقال أحمد شوقي بك:

دقَّاتُ قلبِ المرء قائلةٌ له: إنّ الحياة دقائقٌ وثوانِ

٣- وقال الله تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٥].

٤- وقال أبو تمام:

لما انْتَضَيْتُك للخطوب كُفِيتُها والسيفُ لا يكفيكَ حتى يُنْتَضَى

٥- وقال المتنبي:

أتـــى الزمـــانَ بَنُـــوه في شـــبيبته   فَسَرَّهـــم، وأتَيْنَـــاهُ على الـــهَرَمِ

٦- وقال الشاعر:

إذا مـــا الدهـــرُ جَـــرَّ عـــلى أُناسٍ   كَلَاكِلَـــهُ أنـــاخ بآخرينـــا

٧- وقال البحتري:

يُـــؤَدُّونَ التحيـــة مـــن بعيـــد   إلى قمـــرٍ مـــن الإيـــوان بـــاد

٨- وقال الحماسي (قريط بن أنيف، أحد بني العنبر):

قومٌ إذا الـــشرُّ أبـــدى ناجِذَيه لهم   طـــاروا إليـــه زَرَافَـــاتٍ ووُحْدَانَا

٩- وقال ابن الرومي:

حَيَّتْكَ عَنَّا شَـــمالٌ طـــاف طائفها   بجنـــة نفحـــت رَوْحـــاً وريحانا

هبَّت سحيراً فناجى الغصن صاحبه   سرّاً بهـــا، وتداعى الطـــير إعلانا

١٠- وقال الشريف الرضي يصف الشيب:

شيب تشعشـــع في ســـواد ذوائبي   لا أســـتضيء بـــه ولا أســـتصبح

بِعْتُ الشـــباب بـــه على مِقَـــةٍ له   بيْـــعَ العليـــم بأنـــه لا يربَـــحُ

١١- وقال البحتري يصف الشيب أيضاً:

ولـــمَّةٍ كنـــت مشـــغوفاً بجِدَّتِهَا   فما عَفَا الشـــيب لي عنها ولا صَفَحَا

٢- التمرين الثاني:

بيّن في كل استعارة من الاستعارات الواردة في العبارات التي نذكرها لك بعدُ الأمورَ الآتية:

أ- اللفظ الذي جرى فيه التجوز.

ب- المعنى الأول لهذا اللفظ، والمعنى المراد.

ج - القرينة التي دعتك إلى هجر المعنى الأول.

د - التشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة، وأركانه تفصيلا.

هـ - نوع الاستعارة من حيث الإطلاق والترشيح والتجريد، مع التوجيه.

و - نوع الاستعارة من جهة كونها أصلية أو تبعية.

١ - قال الله تعالى:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٢- وقال جل شأنه:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ١ - ٤].

٣- وقال سبحانه:

﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا ﴾ [طه: ٨٧].

٤- وقال أعشى ميمون:

يضاحِك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزَّرٌ بعَمِيم النبت مكتهل

٥- وقال خالد بن صفوان لرجل:

«رحم الله أباك، فإنه كان يَقْرِي العين جمالاً، والأُذن بياناً».

٦- وقال أوس بن حَجَر:

وإني امرؤ أعـــددت للحرب بعدما رأيـــت لنا نابـــاً من الـــشر أعصَلا

٧- وقال زهير بن أبي سلمى:

إذا لفحت حـــربٌ عَـــوَانٌ مضرة ضَرُوسٌ تُهِـــرُّ النـــاسَ أنيابُها عُصلُ

٨- وقال المقنع الكندي:

يُعاتِبُنـــي في الدَّيـــن قومـــي وإنما ديـــونِيَ في أشـــياء تُكســـبهم حمْدا
أسُـــدُّ به ما قـــد أخلُّـــوا وضَيَّعوا ثغور حقوق مـــا أطاقوا لها ســـدّا

٩- وقال ذو الرمة:

ســـقَاهُ الكرى كأسَ النُّعَاس، فرأسه لِدِينِ الكَرَى من آخر الليل ســـاجد

١٠- وقال مضرس بن ربعي:

أذود سَـــوَام الطّرف عنـــك، ومَالَهُ عـــلى أحـــد، إلا عليـــك، طريقُ

١١- وقال العباس بن الأحنف:

قد ســـحب الناس أذيال الظنون بنا وفَـــرَّقَ النـــاس فينا قولهـــم فِرقا
فكاذبٌ قـــد رمى بالظـــن غيركم وصادقٌ ليـــس يدري أنـــه صدقا

١٢- وقال مسلم بن الوليد:

يكسو الســـيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهامَ تيجـــانَ القَنَـــا الذُّبُلِ

١٣- وقال أبو الطيب المتنبي:

غـــاض الوفاء فـــما تلقـــاه في عِدَةٍ   وأعوَزَ الصدق في الأخبار والقســـم

١٤- وقال أيضا:

وتُحيـــي له المـــالَ الصـــوارمُ والقنا   ويقتـــل ما تُحيـــي التَبسُّـــمُ والجَدا

١٥- وقال الشريف الرضي:

وليلـــة خُضْتُهـــا عـــلى عَجَـــلٍ   وصُبْحُهـــا بالظـــلام مُعْتَصِـــمُ

تطلـــع الفجـــر في جوانبهـــا   وانْفَلَتَـــتْ عـــن عِقالهـــا الظُلَـــم

كأنـــما الدَّجْـــنُ في تزاحمـــه   خَيْـــلٌ لهـــا مـــن بُرُوقـــه لُجُـــمُ

١٦- وقال أبو تمام:

قامت خطوبِيَ عنِّـــي حين قلت لها: هذا أبو دُلَفٍ حســـبي بـــه وكفى

١٧- وقال أيضاً:

تَطُـــلُّ الطلولُ الدمـــع في كل منزل   وتمثـــل بالصـــبر الديـــارُ المواثِلُ

دوارسُ لم يَجْـــفُ الربيـــعُ ربوعها   ولا مـــرَّ في أغفالهـــا وهـــو غافل

فقد سحَبتْ فيها الســـحابُ ذيولها   وقد أخْمِلَـــتْ بالنور فيهـــا الخمائل

ليـــالِيَ أضْلَلْتَ العـــزاء، وخذَّلَتْ   بعقلـــك آرامُ الخـــدور العقائـــلُ

١٨- وقال أبو الطيب المتنبي:

أحبُّك يا شـــمس الزمـــان وبدره   وإن لامنـــي فيك الســـها والفراقد

١٩- وقال أيضاً:

حملـــت إليه مـــن لســـاني حديقةً   سَقَاها الحجا سَقْيَ الرياضَ السحائبُ

٢٠- وقال البحتري يصف قصراً:

مـــلأت جوانبُهُ الفضـــاء، وعانقت   شُرُفَاتُــه قِطَــعَ الســحاب الممطر

٢١- وقال أحمد شوقي بك يصف النيل:

مـــن أي عَهْـــدٍ في القُـــرَى تتدفق   وبـــأي كـــفٍّ في المدائن تُغْـــدِقُ ؟

ومن الســماء نَزَلـــت أم فُجِّرْت مِن   عُلْيــا الجنـــان جَـــداولا تترقرق ؟

وبـــأيِّ عـــينٍ أم بأيّـــة مُزْنـــة   أم أي طوفـــان تفيـــض وتفهـــق

وبـــأي نَـــوْل أنت ناســـجُ بُـــرْدَة   للضفَّتـــين جديدهـــا لا يخلـــق

تَســـوَدُّ ديباجـــاً إذا فارقتهـــا   فإذا حَضَرْتَ اخْضَوْضَرَ الاســـتبرق

٢٢- وقال أيضاً:

ومن كان يغـــزو بالتعِـــلاّتِ فَقْرَه   فـــإني وجـــدتُ الكدَّ أقتـــلَ للفقر

٢٣- وقال أيضاً:

جِئتَنَـــا بالشـــعور والأحـــداق   وَقَسَـــمْنَ الحظـــوظ للعشـــاق

وهـــززن القنـــا قـــدوداً فأبـــلَى   كل قلـــب مســـتضعف خَفَّـــاقِ

فصل

في بيان الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية

ولما كانتا عند «الخطيب» أمرين معنويين غير داخلين في تعريف المجاز أورد لهما فصلاً على حِدَة؛ ليستوفي المعاني التي يطلق عليها لفظ الاستعارة، فقال:

الاستعارة بالكناية عند الخطيب:

قد يُضْمَر التشبيه في النفس فلا يصرّح بشيء من أركانه سوى المشبّه، وأما وجوب ذكر المشبّه به فإنما هو في التشبيه المصطلح عليه، وقد عرفت أنه غير الاستعارة بالكناية، ويدلُّ حينئذ على ذلك التشبيه المضمر في النفس: بأن يُثْبَتَ للمشبه أمر مختص بالمشبّه به، من غير أن يكون هناك أمر متحقق حساً أو عقلاً يطلق عليه اسم ذلك الأمر، فيسمى ذلك التشبيه المضمر في النفس: **استعارة بالكناية**، أو مكنياً عنها: أما الكناية فلأنه لم يصرح به، بل إنما دل عليه بذكر خواصه ولوازمه، وأما الاستعارة فمجرد تسمية خالية عن المناسبة.

الاستعارة التخييلية عند الخطيب:

ويسمى إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبّه به للمشبه: **استعارة تخييلية**؛ لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر الذي يختص بالمشبّه به، وبه يكون كمال المشبّه به وقوامه في وجه الشبه، ليخيل أن المشبّه من جنس المشبّه به.

ومثال ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَهَا ... ألْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنفَعُ

(أنشبت) أي: علقت، والتميمة: الخرزة التي تجعل مُعَاذة - أي: تعويذاً-، يريد أنه إذا علق الموت مخلبه في شيء ليذهب به بطلت عنده الحيل.

شبّه الهذلي في نفسه المنية بالسبع، في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة، من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ولا رقة لمرحوم، ولا بقيا على ذي فضيلة، فأثبت للمنية الأظفار التي لا يكمل الاغتيالُ في السبع بدونها، تحقيقاً للمبالغة في التشبيه، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية، وإثبات الأظفار لها استعارة تخييلية.

ومن أمثلة ذلك قول الآخر:

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحا　　　فَلِسَانُ حَالي بالشِّكَايةِ أنْطَقُ

شبّه الحال بإنسان متكلم، في الدلالة على المقصود، تشبيهاً مضمراً في النفس، وهذا هو الاستعارة بالكناية، وأثبت للحال اللسان الذي به قوام الدلالة في الإنسان المتكلم، وهذا الإثبات استعارة تخييلية.

فعلى هذا كل من لفظي الأظفار والمنية حقيقة مستعملة في معناها الموضوع له، وليس في الكلام مجاز لغوي.

والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فعلان من أفعال المتكلم متلازمان إذ التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة، والمكنية يجب أن تكون قرينتها تخييلية البتة، فمثل قولنا: (أظفار المنية الشبيهة بالسبع أهلكت فلاناً) يكون ترشيحاً للتشبيه، كما أن (أطولكن) في قوله عليه الصلاة والسلام: «أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً» أي: نعمة، ترشيح للمجاز.

بيان مخالفة رأي الخطيب لما عليه الجمهور:

هذا، ولكن تفسير الاستعارة بالكناية بما ذكره «الخطيب» شيء لا مستند له في كلام السلف، ولا هو مبني على مناسبة لغوية، ومعناها المأخوذ من كلام السلف هو: «أن لا يصرّح بذكر المستعار، بل يذكر رديفَهُ ولازِمَه الدال عليه».

فالمقصود بـ (أظفار المنية) استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع، إلا أنّا لم نصرّح بذكر المستعار -أعني السبع- بل اقتصرنا على ذكر لازمه -وهو الأظفار- لينتقل منه إلى المقصود، كما هو شأن الكناية، فالمستعار هو لفظ السبع غير المصرح به، والمستعار منه الحيوان المفترس، والمستعار له هو المنية.

قال صاحب «الكشاف»: إن من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبّهوا بذلك الرمز على مكانه، نحو: (شجاع مفترس أقرانه) ففيه تنبيه على أن الشجاع أسد. هذا كلامه، وهو صريح في أن المستعار هو اسم المشبّه به المتروك صريحاً المرموز إليه بذكر لوازمه.

مثال آخر:

ومن أمثلة ذلك قول زهير:

صَحَا القلب عن سَلْمى وأقْصَر باطِلُه   وَعُرِّيَ أفراسُ الصبا ورَوَاحله

(صحا): أي سلا، مجازاً من الصحو خلاف السكر، و(أقصر باطله) يقال: أقصر عن الشيء، إذا أقلع عنه، أي: تركه وامتنع عنه، أي: امتنع باطله عنه وتركه بحاله.

أراد زهير أن يبيّن أنه ترك ما كان يرتكبه زمنَ المحبّة من الجهل والغيّ، وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته[١]، فشبّه زهير في نفسه الصبا بجهة من جهات المسير، كالحج والتجارة، قُضِيَ من تلك الجهات الوطر، فأُهملت آلاتها.

ووجه الشبه: الاشتغال التام وركوب المسالك الصعبة فيه، غير مبال بمهلكة ولا محترز عن معركة، وهذا التشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية، وأثبت للصبا بعض ما يختص بتلك الجهة -أعني الأفراس والرواحل- التي بها قوام جهة المسير والسفر، فإثبات الأفراس والرواحل استعارة تخييلية، فالصبا -على هذا التقدير- من الصَّبْوة بمعنى: الميل إلى الجهل والفتوة؛ يقال: صبا يَصبْو صَبْوة وصبواً، أي: مال إلى الجهل والفتوة. كذا في «الصحاح»، لا من الصباء -بالفتح والمد- يقال: صبى صباء؛ مثل سمع سماعاً: أي لعب مع الصبيان.

ويحتمل أن زهيراً أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات، أو أراد بها الأسباب التي قلما تتأخذ في اتباع الغي إلا أوان الصبا وعنفوان الشباب، مثل المال والمنال والإخوان والأعوان، فتكون استعارة الأفراس والرواحل تحقيقية، لتحقق معناها: عقلا إذا أريد بهما الدواعي، وحساً إذا أريد بهما أسباب اتباع الغي من المال والمنال.

مثّل المصنف بثلاثة أمثلة[٢]:

---

(١) الضمير في (معاودته) وفي (آلاته) راجع إلى قوله (ما كان يرتكبه).

(٢) قال ابن يعقوب: (فالأمثلة ثلاثة: الأول: ما تكون فيه التخييلية هي إثبات ما به كمال وجه الشبه، والثاني: ما تكون بها قوامه، والثالث: ما يحتمل التخييلية على أنها قوام أو كمال، ويحتمل التحقيقية، والذي يقع به تميز المراد قرائن الأحوال) اهـ.

الأول: ما تكون التخييلية فيه إثبات ما به كمال المشبّه به.

والثاني: ما تكون إثبات ما به قوام المشبّه به.

والثالث: ما تحتمل التخييلية والتحقيقية.

تمرينات

١- التمرين الأول:

بيّن الاستعارة التبعية والاستعارة الأصلية من كل استعارة في العبارات الآتية مع توجيه كل ما تذكر:

١- قال الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ٢٧].

٢- وقال جل شأنه:

﴿ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ ﴾ [الكهف: ٩٩].

٣- وقال الشاعر:

فسَموْنَا والفجر يضحك في الشَّرْ ق إلينا مبشِّراً بالصباح

٤- وقال آخر:

ولم نر شيئاً كان أحسن منظراً من الرّوض يجري دمعُهُ وهو يضحك

٥- وقال ابن المعتز:

روضة من قَرْقَف أنهارُها وغِنَاءُ الوَرْق فيها في ارتفاعْ
لا تَلُمْ أغصانها إن رقَصَتْ فهي ما بين شرابٍ وسماع

٦- وقال أبو نُواس:

فاستَنْطِقِ العودَ قد طال السكوتُ به لن ينطق اللّهوُ حتى ينطق العودُ

٧- وقال أيضاً:

ألا لا أرى مثـــل امترائيَ في رَسْـــمِ تَغَـــصُّ به عينـــي ويَلفِظُـــه وَهْمِي

٨- وقال يرثي:

غَليـــلي عـــلى خالـــدٍ خالـــدٌ وضَيـــفُ همومـــي طويـــل الثواء

ألا أيهـــا المـــوت فجَّعْتَنـــا بـــماء الحيـــاة ومـــاء الحيـــاء

٩- وقال أوس بن حجر:

إذا مُقْـــرِم منـــا ذَرَا حَـــدُّ نَابِـــهِ تَخَمَّـــطَ فينـــا نـــابُ آخَـــرَ مُقْرِمِ

١٠- وقال محمد حافظ إبراهيم بك من رسالة بعث بها من السودان إلى الأستاذ محمد عبده:

فناديتُ باسم الشـــيخ والقيظُ جَمْرُهُ يُذيبُ دماغَ الضـــب والعقل ذاهل

فـــصرت كأني بـــين روض ومَنْهلٍ تدبُّ الصَّبَـــا فيه وتَشْـــدو البلابل

١١- وقال أيضاً يرثي سليمان باشا أباظه:

أَيُّهـــذا الثـــرى، إلامَ التـــمادي بعد هـــذا ؟ أأنت غرثـــانُ صادي

أنـــت تَروي مـــن مدمـــع كل يوم وتَغَـــذَّى مـــن هـــذه الأجســـاد

قد جعلـــتَ الأنـــام زادك في الدهـــــــر وقـــد آذنَ الـــورى بالنَفـــاد

٢- التمرين الثاني:

بيِّن الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية والاستعارة التخييلية من كل استعارة وردت في العبارات الآتية:

١- قال الكميت بن زيد يمدح آل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أناسٌ بهم عَزَّت قريش فأصبحوا   وفيهم خِباءُ المكرمات المُطَنَّبُ

٢- وقال ذو الرمة:

يعِزُّ ضِعَافَ الناس عزّةَ نفسه   ويقطع أنف الكبرياء من الكبر

٣- وقال أبو تمام:

لا تنكري عَطَلَ الكريم من الغنى   فالسَّيْلُ حربٌ للمكان العالي

وتنظَّري خَبَبَ الركابِ يَنُصُّها   مُحْيي القريض إلى مُمِيت المال

٤- مات ولدان صغيران لعبد الله بن طاهر، فقال أبو تمام يعزيه:

نَجْمُّ تأوَّب طارقاً حتى إذا   قلنا: أقام الدهرَ، أصبح راحلا

نجمان شاء الله ألا يطلُعا   إلا ارتدادَ الطرف حتى يأفلا

إن الفجيعة بالرياض نواضرا   لأجَلُّ منها بالرياض ذوابلا

لو يُنْسآن لكان هذا غارباً   للمكرمات وكان هذا كاهلا

٥- وقال محمد حافظ إبراهيم بك يرثي الأستاذ الشيخ محمد عبده:

وكم ليلةٍ عانَدْتَ في جوفها الكرى   ونَبّهْتَ فيها صادق العَزَمات

وأرصدت للباغي على دين أحمد   شَبَاة يَرَاع ساحِرِ النّفَثَاتِ

إذا مسَّ خَد الطِّرْسِ فاض جبينه   بأسطار نور باهرِ اللّمَعاتِ

كأنّ قـــرارَ الكهربـــاء بشـــقه يُرِيك سَـــنَاهُ أيْـــسَرُ اللمَســـاتِ

٦- وقال يصف فكتور هوجو الشاعر الفرنسي المعروف:

مـــا ثُغُـــور الزهـــر في أكمامهـــا ضاحـــكاتٍ مـــن بكاء السُّـــحب
نَظَـــم الوَسْـــمِيُّ فيهـــا لؤلـــؤاً كثنايـــا الغِيـــدِ أو كالحبَـــبِ
عند مـــن يقـــضي، بأبْهَـــى منظراً مـــن معانيـــه التـــي تلعـــب بي
بَسَـــمَتْ للذهن فاســـتهوت نهى مُغْـــرَمِ الفضـــل وصَـــبِّ الأدب
جـــاء والأحـــلام في أصفادهـــا مالهـــا في ســـجنها مـــن مذهـــب
فانـــبرى يصـــدع مـــن أغلالهـــا بالـــيراع الحـــرِّ، لا بالقُضُـــبِ
هالَـــهُ ألا يراهـــا حُـــرَّةً تمتطـــي في البحث مَتْـــنَ الكوكب

فصل
في شرائط حسن الاستعارة

حُسْنُ كل من الاستعارة التحقيقية والتمثيل على سبيل الاستعارة من جهتين:

أولاهما: رعاية جهات حسن التشبيه، كأن يكون وجه الشبه شاملاً للطرفين[١]، والتشبيه وافياً بإفادة ما عُلِّقَ به من الغرض، ونحو ذلك.

وثانيتهما: أن لا يشم شيء من التحقيقية والتمثيل رائحة التشبيه من جهة اللفظ؛ لأن ذلك يُبطل الغرض من الاستعارة، أعني ادّعاء دخول المشبّه في جنس المشبّه به، لما في التشبيه من الدلالة على أن المشبّه به أقوى في وجه الشبه من المشبّه.

ولأن شرط حسنه أن لا يشم رائحة التشبيه لفظاً، يُوصى أن يكون ما به المشابهة بين الطرفين جلياً: إما بنفسه، أو بواسطة عُرْف، أو اصطلاح خاص؛ لئلا تصير الاستعارة إلغازاً وتَعْمِيَة إن روعي شرائط الحسن ولم تشم رائحة التشبيه، وإن لم تراع فات الحسن.

يقال: ألغز في كلامه، إذا عمَّى مراده، ومنه اللّغَزُ وجمعه: ألغاز، مثل رُطَب وأرطاب.

---

(١) أنت تعلم أن حسن الاستعارة مرتبة فوق مرتبة صحتها، وتعلم كذلك أن شرط صحة الاستعارة أن يكون وجه الشبه شاملاً الطرفين، ولما كان هذا الفصل معقوداً لبيان شروط الحسن كان ذكر شمول وجه الشبه للطرفين على أنه من شروط الحسن مُشكلا. وقد اعتذر قوم عن المؤلف بأن المراد ظهور هذا الشمول، فيكون شمول الوجه للطرفين شرطاً للصحة، وظهور هذا الشمول شرطاً للحسن، ومنهم من قال: شرط الحسن تحقق الشمول، وشرط الصحة الشمول ولو ادعاء.

كما لو قيل في التحقيقية: (رأيت أسداً) وأريد إنسان أبخر، فوجه الشبه بين الطرفين في هذا المثال خفي.

وكما لو قيل في التمثيل: (رأيت إبلاً مائة لا توجد فيها راحلة)، وأريد: الناسُ، من قوله عليه الصلاة والسلام: «الناس كإبل المائة لا تجد فيها راحلة». وفي «الفائق»: الراحلة: البعير الذي يَرْتَحِله الرجل، جملا كان أو ناقة، يعني أن المرضيّ به المنتخب من الناس في عِزّة وجوده كالنجيبة المنتخبة التي لا توجد في كثير من الإبل.

وبهذا ظهر أن التشبيه أعمّ محلاً، إذ كل ما يتأتى فيه الاستعارة يتأتّى فيه التشبيه، من غير عكس؛ لجواز أن يكون وجه الشبه غيرَ جليّ فتصير الاستعارة إلغازاً، كما في المثالين المذكورين.

فإن قيل: قد سبق أن حسن الاستعارة برعاية جهات حسن التشبيه، ومن جملتها أن يكون وجه الشبه بعيداً غير مُبْتَذَل؛ فاشتراط جلائه في الاستعارة ينافي ذلك.

قلنا: الجلاء والخفاء مما يَقبل الشدة والضعف، فيجب أن يكون من الجلاء بحيث لا يصير إلغازاً، ومن الغرابة بحيث لا يكون مبتذلاً.

ويتصل بما ذكرنا -من أنه إذا خفي التشبيه لم تحسن الاستعارة، ويتعين التشبيه- أنه إذا قوي الشبه بين الطرفين حتى اتحدا: كالعلم والنور؛ والشبهة والظلمة، لم يحسن التشبيه؛ وتعيّنت الاستعارة؛ لئلا يصير كتشبيه الشيء بنفسه، فإذا فهمتَ مسألةً تقولُ: حصل في قلبي نور، ولا تقول: علم كالنور، وإذا وقعْتَ في شبهة تقولُ: وقعتُ في ظلمة، ولا تقول: في شُبهة كالظلمة.

والاستعارة المكني عنها كالتحقيقية في أن حسنها برعاية جهات حسن التشبيه؛ لأنها تشبيه مضمر في النفس.

والاستعارة التخييلية حسنها بحسب حسن المكني عنها؛ لأنها لا تكون إلا تابعة للمكني عنها، وليس لها في نفسها تشبيه، بل هي حقيقة، فحسنها تابع لحسن متبوعها.

فصل

في بيان معنى آخر يطلق عليه لفظ المجاز على سبيل الاشتراك أو التشابه.

المجاز بالحذف والزيادة:

قد يطلق (المجاز) على كلمة تَغَيَّرَ حكم إعرابها، بحذف لفظ، أو زيادة لفظ.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢].

والثاني: مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

وتقدير الأول: وجاء أمر ربك؛ لاستحالة المجيء على الله تعالى، وتقدير الثاني: واسأل أهل القرية؛ للقطع بأن المقصود ههنا سؤال أهل القرية، وإن جعلت القرية مجازاً[1] عن أهلها لم يكن من هذا القبيل، وتقدير الثالث: وليس مثله شيء؛ لأن المقصود نفي أن يكون شيء مثل الله تعالى، لا نفي أن يكون

(١) أي: مجازاً مرسلا علاقته الحالية والمحلية.

شيء مثل مثله، فالحكم الأصلي لـ(ربّك والقرية) هو الجرُّ، وقد تغير في الأول إلى الرفع، وفي الثاني إلى النصب؛ بسبب حذف المضاف، والحكم الأصلي في (مثله) هو النصب؛ لأنه خبر ليس، وقد تغيّر إلى الجر بسبب زيادة الكاف.

فكما وُصفت الكلمة بالمجاز باعتبار نَقلِها عن معناها الأصلي، كذلك وُصفت به باعتبار نقلها عن إعرابها الأصلي.

وظاهر عبارة «المفتاح» أن الموصوف بهذا النوع من المجاز هو نفس الإعراب؛ وما ذكره المصنف أقرب.

والقول بزيادة الكاف في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] أخْذٌ بالظاهر، ويحتمل ألا تكون زائدة، بل تكون نفياً للمثل بطريق الكناية التي هي أبلغ، لأن الله تعالى موجود، فإذا نفى مثل مثله لزم نفي مثله، ضرورة أنه لو كان له مثل لكان هو -أعني الله تعالى- مثل مثله، فلم يصح نفي مثل مثله، كما تقول: ليس لأخي زيد أخ، أي: ليس لزيد أخ، نفياً للّزوم بنفي لازمه. والله أعلم.

تمرينات

١- التمرين الأول:

اشرح الأبيات الآتية شرحاً بيانياً، فإن كان في بعضها تشبيه فبيّن أركانه ونوعه والغرض منه، وإن كان في بعضها مجاز مرسل فبيّن المعنى الحقيقي والمعنى المجازي والقرينة والعلاقة، وإن كان في بعضها استعارة فبيّن نوع هذه الاستعارة تفصيلاً:

(١) قال أبو الطيب المتنبي:

لــه أيــادٍ عــليَّ ســابغة أعُــدُّ منهــا ولا أُعَدِّدُهَــا

(٢) وقال البحتري يرثي المتوكل وكان قد قتل غيلة:

صَريعٌ تَقَاضَــاهُ الليالي حُشَاشَــةً يجــود بها، والمــوت حُمْــرٌ أظَافِرُهْ

(٣) وقال المتنبي:

غــاض الوفاء فــما تلقــاهُ في عِدَةٍ وأعْوَزَ الصِّدْقُ في الأخبار والقســم

(٤) وقال أيضاً:

في الخَــدِّ إن عــزم الخليــط رحيلا مَطَــرٌ تزيــد بــه الخــدود مُحُولا

(٥) وقال أيضاً يهجو أبا المسك كافوراً الإخشيدي:

نامَــتْ نَوَاطِيرُ مصر عــن ثعالبها وقد بَشِــمْنَ ومــا تَفْنَــى العناقيد

(٦) قال أيضاً:

أتــى الزمــانَ بنــوه في شــبيبته فَسَرَّهُــمْ، وأتينــاه عــلى الهــرم

(٧) وقال أيضاً:

حَمْلــتُ إليه مــن لســاني حديقةً سَقَاهَا الحِجَى سقي الرياضَ السحَائب

(٨) وقال أيضاً يصف القلم:

يَمُـــجُّ ظلامـــاً في نهـــارٍ لســـانُه ويَفْهَـــمُ عَمّنْ قال ما ليس يَسْـــمَعُ

(٩) وقال أيضاً:

رأيتُكَ مَحْضَ الحلـــم في محضِ قُدْرَةٍ ولو شئت كان الحلم منك الـــمُهنَّدا

(١٠) وقال أيضاً:

إليـــك، فإني لســـت ممـــن إذا اتَّقَى عِضَاضَ الأفاعي نام فوق العقارب

(١١) وقال أبو تمام:

نامت همومي عنِّي حـــين قلت لها: هذا أبو دُلَفٍ حســـبي بـــه وكفى

(١٢) وقال أيضاً:

لما انْتَضيتُـــكَ للخطـــوب كُفِيتُها والســـيف لا يكفيك حتـــى يُنْتَضى

(١٣) وقال أيضاً يرثي طفلين لعبد الله بن طاهر:

لهفـــي على تلـــك الشـــواهد منهما لـــو أُمْهِلَـــتْ حتى تكون شـــمائلا

إن الهـــلال إذا رأيـــت نمـــوَّهُ أيقنـــت أنْ ســـيصير بـــدراً كاملاً

٢- التمرين الثاني:

اشرح الأبيات الآتية شرحاً بيانياً مبيناً ما فيها من تشبيهات ومجازات واستعارات، مع بيان نوع كل واحد منها على التفصيل:

(١) قال زهير بن أبي سلمى المزني يمدح:

تــراه إذا مــا جئتــه مُتَهَلِّــلاً   كأنك تعطيــه الذي أنت ســائِلُهْ

(٢) وقال أبو تمام:

فسَــواءٌ إجابتــي غــيْرَ داع   ودُعائــي بالقــاع غــيرَ مجيــب

(٣) وقال البحتري:

يُوليــكَ صَدْرَ اليوم قاصيــةَ الغِنَى   بفوائــد قد كُــنّ أمــس مَوَاعدا

ســوْمَ الســحائب ما بَدَأنَ بَوَارِقاً   في عــارضٍ إلا ثَنَــيْنَ رَوَاعــدا

(٤) وقال أيضاً في مثل هذا المعنى يمدح:

مُتَهَلِّــلٌ طَلْــقٌ إذا وَعَــدَ الغنــى   بالبــشر أتبــع بِــشْرَهُ بالنائــل

كالمزن إن ســطعت لوامــع برقه   أجْلــتْ لنا عــن ديمــة أو وابل

(٥) وقال أبو تمام:

يســتنزل الأمــلَ البعيــد ببشره   بُــشْرى الخَمِيلَــةِ بالربيــع المغدِقِ

وكذا الســحائب قَلّــمَا تدعو إلى   معروفهــا الــرُّوَّاد مــا لم تُــبْرِقِ

(٦) وقال البحتري يصف فرساً:

وأغَرَّ في الزمن البَهيم مُحَجَّلٌ ... قد رُحْتُ منه على أغرَّ مُحَجَّل
كالهيكل المبنيِّ، إلا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل
يَهْوِي كما تهوي العُقَابُ إذا رأت ... صَيْداً وينتصبُ انتصابَ الأجْدَل

(٧) وقال أبو تمام في صديق له:

إنْ يُكْدِ مُطَّرفُ الإخاء فإننا ... نغدو ونَسْري في إخاء تالد
أو يختلفْ ماء الوصال فماؤنا ... عذبٌ تَحَدَّر من غمام واحد
أو يفترقْ نسب يؤلِّف بيننا ... أدبٌ أقمناه مُقَام الوالد

(٨) وقال منصور النمري يذكر الشيب ويتحسر على ماضي الشباب:

ما تَنقضي حسرةٌ مني ولا جزع ... إذا ذكرت شبابا ليس يُرْتَجَعُ
بان الشبابُ وفاتتني بِشِرَّته ... صروفُ دَهْرٍ وأيام لها خُدَعُ
ما كنت أعطي شبابي كُنْهَ غِرّتِه ... حتى مضى، فإذا الدنيا له تَبَعُ
إن كُنْتِ لم تَطْعَمي ثُكْلَ الشباب ولم ... تَشْجَيْ بغُصّته فالعذر لا يقع

(٩) وقال البارودي باشا:

أسْمَعُ في نَفْسِي دبيب المُنى ... وَألْمَحُ الشُّبْهَةَ في خاطري

(١٠) وقال البحتري يمدح الفتح بن خاقان:

يَسْمُو بكَفٍ على العافين حانِيَةٍ ... تَهمِي وطَرْفٍ إلى العلياء طَمَّاح

الكناية

معنى الكناية:

الكناية في اللغة: مصدر (كنيت بكذا عن كذا) أو (كنوت) إذا تركتَ التصريح به.

وفي الاصطلاح: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادته معه -أي: إرادة ذلك المعنى مع لازمه- كلفظ: (طويل النِّجَادِ): المراد به طول القامة، مع أنه يجوز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضاً.

الفرق بين الكناية والمجاز:

فظهر من هذا التعريف أن الكناية تخالف المجاز من جهة إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه، كإرادة طول النجاد مع إرادة طول القامة. بخلاف المجاز، فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي؛ للزوم القرينة المانعة عن إرادة المعنى الحقيقي.

وقولنا: «من جهة إرادة المعنى الحقيقي» معناه: من جهة جواز إرادة المعنى الحقيقي؛ ليوافق ما ذكرناه في تعريف الكناية، ولأن الكناية كثيراً ما تخلو عن إرادة المعنى الحقيقي، للقطع بصحة قولنا: (فلان طويل النجاد) و(جبان الكلب) و(مَهْزُول الفَصِيل) وإن لم يكن له نجاد ولا كلب ولا فصيل، ومثل هذا في الكلام أكثر من أن يحصى.

وههنا بحث لا بد من التنبُّه له، وهو أن المراد بجواز إرادة المعنى الحقيقي في الكناية هو أن الكناية -من حيث إنها كناية- لا تنافي ذلك، كما أن المجاز ينافيه، لكن قد يمتنع ذلك في الكناية بواسطة خصوص المادة، كما ذكر صاحب

«الكشاف» في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أنه من باب الكناية، كما في قولهم: (مِثْلُك لا يبخل) لأنهم إذا نَفوْهُ عمَّن يماثله وعمَّن يكون على أخص أوصافه فقد نفوه عنه، كما يقولون: (بلغت أترابه) يريدون بُلُوغَه.

فقولنا: (ليس كالله شيء) وقولنا: (ليس كمثله شيء) عبارتان متعاقبتان على معنى واحد، وهو نَفْيُ المماثلة عن ذاته، مع أنه لا فرق بينهما إلا ما تعطيه الكناية من المبالغة، ولا يخفى ههنا امتناع إرادة الحقيقة، وهو نفي المماثلة عمن هو مماثل له وعلى أخص أوصافه، مِن قِبَل أنه لا مماثل له.

وفرق بعضهم بين الكناية والمجاز بأن الانتقالَ في الكناية من اللازم إلى الملزوم؛ كالانتقال من طول النجاد إلى طول القامة، والانتقالُ في المجاز من الملزوم إلى اللازم؛ كالانتقال من الغيث إلى النّبت، ومن الأسد إلى الشجاع.

ورُدَّ هذا الفرق بأن اللازم ما لم يكن ملزوماً بنفسه أو بانضمام قرينة إليه لم ينتقل منه إلى الملزوم؛ لأن اللازم -من حيث إنه لازم- يجوز أن يكون أعمَّ، ولا دلالة للعام على الخاص، وحينئذ يكون الانتقال في الكناية من الملزوم إلى اللازم كما في المجاز، فلا يتحقق الفرق.

و«السكاكي» أيضاً معترف بأن اللازم ما لم يكن ملزوماً امتنع الانتقال منه، وما يقال: «إن مراده أن اللزوم من الطرفين من خواص الكناية، دون المجاز، أو شرط لها دونه» فمما لا دليل عليه، وقد يجاب بأن مراده باللازم ما يكون وجوده على سبيل التبعية؛ كطول النّجاد التّابع لطول القامة، ولهذا جوَّز كون اللازم أخصّ، كالضاحك بالفعل للإنسان.

فالكناية: أن يذكر من المتلازمين ما هو تابع ورديف ويراد به ما هو متبوع ومردوف، والمجاز بالعكس، وفيه نظر، ولا يخفى عليك أنه ليس المراد باللزوم

ههنا امتناع الانفكاك.

الكناية ثلاثة أقسام:

والكناية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأولى: الكناية المطلوب بها غير صفة ولا نسبة، ثم إن هذه على نوعين:

النوع الأول: ما هي معنى واحد. مثل أن يَتَّفق في صفة من الصفات اختصاصٌ بموصوف معين عارض، فتذكر تلك الصفة ليتوصَّل بها إلى ذلك الموصوف، كقوله:

الضّاربين بكل أبْيَضَ مِخْذمٍ والطّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأضْغَانِ

المخذم: القاطع، والضغن: الحقد، ومجامع الأضغان: معنى واحد كناية عن القلوب.

والنوع الثاني: ما هي مجموع معانٍ، بأن تؤخذَ صفة فتضم إلى لازم آخر وآخر، لتصير جملتها مختصة بموصوف، فيُتوصَّل بذكرها إليه، كقولنا كناية عن الإنسان: حَيٌّ مستوي القامة عريض الأظفار، وتسمّى هذه «**خاصيّة مركّبة**».

وشرط هاتين الكنايتين الاختصاص بالمَكْنِي عنه؛ ليحصل الانتقال.

وجعل «السكاكي» الأولى منهما -أعني ماهو معنى واحد- قريبةً، بمعنى سهولة المأخذ والانتقال فيها؛ لبساطتها واستغنائها عن ضم لازم إلى آخر والتلفيق بينهما، والثانية بعيدة بخلاف ذلك، وهذه غير البعيدة بالمعنى الذي سيجيء.

الثانية من أقسام الكناية: المطلوب بها صفة من الصفات، كالجود والكرم ونحو ذلك، وهي ضربان: قريبة، وبعيدة، فإن لم يكن الانتقال من الكناية إلى

المطلوب بواسطة فقريبة، والقريبة قسمان: الأول: الواضحة. والثاني: الخفية.

فأما **الواضحة** فهي التي يحصل الانتقال منها بسهولة، كقولهم كناية عن طول القامة: (طويل نجادُه، وطويل النجاد)، والأولى -أي: طويل نجاده- كناية ساذجة لا يشوبها شيء من التصريح. وفي الثانية -أي: طويل النجاد- تصريح ما؛ لتضمن الصفة التي هي (طويل) للضمير الراجع إلى الموصوف، ضرورة احتياجها إلى مرفوع مسند إليه، فيشتمل على نوع تصريح بثبوت الطول له.

والدليل على تضمنه الضمير أنك تقول: (هند طويلة النجاد) و(الزيدان طويلا النجاد) و(الزيدون طِوَالُ النجاد)، فتُؤنّث وتُثنّي وتجمع الصفة البتة، لإسنادها إلى ضمير الموصوف، بخلاف (هند طويل نجادها) و(الزيدان طويل نجادهما) و(الزيدون طويل نجادهم).

وإنما جعلنا الصفة المضافة كناية مشتملة على نوع تصريح ولم نجعلها تصريحاً؛ للقطع بأن الصفة في المعنى صفة للمضاف إليه، واعتبر الضمير رعاية لأمر لفظي، وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها.

وأما **الخفية** فهي: التي يتوقف الانتقال منها إلى المطلوب على تأمل وإعمال رَوِيّة، كقولهم كناية عن الأبله: (عريض القفا)، فإن عرض القفا وعظم الرأس بالإفراط مما يستدل به على البلاهة، فهو ملزوم لها بحسب الاعتقاد، لكن في الانتقال منه إلى البَلاهَة نوع خفاء لا يطّلع عليه كل أحد، وليس الخفاء بسبب كثرة الوسائط والانتقالات حتى تكون بعيدة.

وإن كان الانتقال من الكناية إلى المطلوب بها بواسطةٍ فبعيدةٌ، كقولهم: (كثير الرماد) كناية عن المضياف، فإنه يُنْتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق

الحطب تحت القدر، ومن كثرة الإحراق إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الأَكَلَة، منها إلى كثرة الضِّيفان -بكسر الضاد، جمع ضيف-، ومنها إلى المقصود وهو المضياف.

وبحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحاً وخفاء.

الثالثة من أقسام الكناية: المطلوب بها نسبة -أي: إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه، وهو المراد بالاختصاص في هذا المقام-، كقوله:

إن السَّماحة والمروءة والندى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحَشْرَج

(المروءة): كمال الرجولية، وأنت ترى أن الشاعر أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشرج بهذه الصفات، فترك التصريح باختصاصه بها بأن يقول: ثبتت سماحة ابن الحشرج، أو السماحة لابن الحشرج، أو سَمُحَ ابن الحشرج، أو حصلت السماحة له، أو ابن الحشرج سَمْحٌ، إلى الكناية - أي: تَرَكَ التصريح ومال إلى الكناية، بأن جعل تلك الصفات في قبة مضروبة على ابن الحشرج -، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له؛ لأنه إذا أُثبت الأمر في مكان الرجل وحَيِّزه فقد أثبت له.

ومثل البيت المذكور -في كون الكناية لنسبة الصفة إلى الموصوف، بأن تجعل فيما يحيط به ويشتمل عليه- قولهم: المجد بين ثوبيه، والكرم بين بُرْديه، حيث لم يصرح بثبوت المجد والكرم له، بل كنىّ عن ذلك بكونهما بين بُرديه وبين ثوبيه.

فإن قلت: ههنا قسم رابع، وهو أن يكون المطلوب بها صفة ونسبة معا، كقولنا: (كثر الرماد في ساحة زيد).

قلت: ليس هذا كناية واحدة، بل كنايتان: إحداهما المطلوب بها نفس الصفة، وهي قولنا: (كثر الرماد) كناية عن المضيافية. والثانية المطلوب بها نسبة المضيافية إلى زيد، وهو جعلها في ساحته، ليفيد إثباتها له.

والموصوف في هذين القسمين -الثاني والثالث- قد يكون مذكوراً كما مر، وقد يكون غير مذكور، كما يقال في عُرْض من يؤذي المسلمين: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فإنه كناية عن نفي صفة الإسلام عن المؤذي، وهو غير مذكور في الكلام.

وأما القسم الأول -وهو ما يكون المطلوب بالكناية نفس الصفة، وتكون النسبة مصرحاً بها- فلا يخفى أن الموصوف فيها يكون مذكوراً لا محالة لفظاً أو تقديراً.

وقولنا «في عرض من يؤذي» معناه في التعريض به، ويقال: نظرت إليه من عُرْضٍ - بالضم- أي: من جانب وناحية.

تتفاوت الكناية إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة:

قال «السكاكي»: الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة.

وإنما قال: «تتفاوت» ولم يقل «تنقسم»؛ لأن التعريض وأمثاله مما ذكر ليس من أقسام الكناية فقط، بل هو أعم، كذا في شرح «المفتاح»، وفيه نظر. والأقرب أنه إنما قال ذلك لأن هذه الأقسام قد تتداخل، وتختلف باختلاف

الاعتبارات من الوضوح والخفاء وقلة الوسائط وكثرتها.

والمناسبة للعُرْضية التعريض، ومعنى هذا أن الكناية إذا كانت عرضية مَسُوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض؛ لأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود، يقال: عرضت لفلان، وبفلان، إذا قلت قولا لغيره وأنت تعنيه، فكأنك أشرت به إلى جانب وتريد به جانباً آخر.

والمناسب لغير العرضية إن كثرت الوسائط بين اللازم والملزوم كما في (كثير الرماد) و(جبان الكلب) و(مهزول الفصيل) التلويح؛ لأن التلويح هو: أن تشير إلى غيرك من بعيد.

والمناسب لغير العرضية إن قلَّت الوسائط مع خفاء في اللزوم كـ(عريض القفا) و(عريض الوسادة) الرمز؛ لأن الرمز هو: أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخِفية؛ لأن حقيقته الإشارة بالشّفة أو الحاجب.

والمناسب لغير العرضية إن قلّت الوسائط بلا خفاء، كما في قوله:

أوَمَا رأيْتَ المجدَ ألْقَى رَحْلَه ... في آلِ طَلْحَةَ ثم لم يَتَحَوَّلِ

الإيماء والإشارة:

ثم قال «السكاكي»: والتعريض قد يكون مجازاً، كقولك: (آذيتني فستعرف)، وأنت تريد إنساناً مع المخاطب، ولست تريد المخاطب، ليكون اللفظ مستعملاً في غير ما وضع له فقط، فيكون مجازاً، وإن أردت المخاطب وإنساناً آخر معه جميعاً كان كناية؛ لأنك أردت باللفظ المعنى الأصلي وغيره معا، والمجاز ينافي إرادة المعنى الأصلي.

ولا بد في الصورتين من قرينة دالة على أن المراد في الصورة الأولى هو الإنسان الذي مع المخاطب وحده، ليكون مجازاً ، وفي الثانية كلاهما جميعاً، ليكون كناية.

وتحقيق ذلك أن قولك: (آذيتني فستعرف) كلام دال على تهديد المخاطَب بسبب الإيذاء، ويلزم منه تهديد كل من صدر عنه الإيذاء؛ فإن استعملته وأردت به تهديد المخاطب وغيره من المؤذين كان كناية، وإن أردت به تهديد غير المخاطب بسبب الإيذاء لعلاقة اشتراكه مع المخاطب في الإيذاء، إما تحقيقاً وإما فرضاً وتقديراً –مع قرينة دالة على عدم إرادة المخاطب– كان مجازاً.

تمرين

بيّن نوع الكناية في كل بيت من الأبيات الآتية:

(١) قال أعرابي تزوج فلم يحمد امرأته:

أكَلْتُ دَماً إن لم أرُعْكِ بضرةٍ بَعيدةِ مَهْوَى القُرْط طَيِّبَةِ النّشْرِ

(٢) وقالت الخنساء ترثي أخاها صخراً:

طويل النِّجاد، رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا

(٣) وقال أبو الطيب المتنبي يذكر وقيعة سيف الدولة ببني كلاب:

فمسَّاهم وبُسْطُهُمُ حريرٌ وصَبَّحهم وبُسْطهم تُرَابُ

ومَنْ في كَفِّه منهم قناة كَمَنْ في كفه منهم خضاب

(٤) وقال الشاعر:

اليُمْنُ يتبع ظِلَّهُ والمجد يمشي في رِكابِه

(٥) وقال يزيد بن الحكم يمدح المهلب بن أبي صُفرة:

أصْبَحَ في قيدك السماحة والمجد وفَضْلُ الصلاح والحسبُ

(٦) وقال البُحْتُرِيُّ يصف أنه قتل ذئباً:

فأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى فأَضْلَلتُ نَصْلَها بحيث يكون اللُّبُّ والرعب والحقدُ

(٧) وقال الفرزذق يمدح زين العابدين - رضي الله عنه -:

يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مهابته فلا يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسم

(٨) وقال البحتري يمدح:

يَغُضُّون فَضْلَ اللحظِ من حَيْثُ ما بدا لهم عــن مهيبٍ في الصــدور محبَّبِ

(٩) وقال الشاعر:

تجولُ خلاليــل النســاء ولا أرى لِرَمْلَــة خلخــالاً يَجُــولُ ولا قُلْبَا

(١٠) وقال آخر:

بيضُ المطابــخ لا تشْــكُو إماؤهُمُ طبخَ القُــدُور ولا غَسْــلَ المناديل

(١١) وقال الشاعر:

يَبيــتُ بمنجاةٍ مــن اللــوم بَيتُهَا إذا مــا بُيــوتٌ بالملامــة حُلّــتِ

(١٢) وقال أبو نُواسٍ يمدح الخصيب:

فما جــازه جُــودٌ ولا حــلَّ دونه ولكــن يســير الجود حيث يســير

(١٣) وقال الشاعر يمدح:

تَعَــوَّدَ بَسْــطَ الكف حتى لَــوَ انَّهُ ثناهــا لِقبــضٍ لم تُطعــه أنامِلُــهْ

(١٤) وقال الشاعر:

بنى المجــد بيتاً، فاســتقرَّت عماده علينا، فأعيــا النــاس أن يتحوَّلا

(١٥) وقال الشاعر يمدح

وإن ذكــر المجــد ألفيتــه تــأزّر بالمجــد ثــم ارْتَــدَى

(١٦) وقال الشاعر يفتخر:

بيــضٌ مَفَارقنــا، تغــلي مراجلنا نأســو بأموالنــا آثــار أيدينــا

(١٧) وقال زياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلَّب:

إن السماحة والمروءة ضُمِّنا   قبرا بمــرْوَ على الطريق الواضح

(١٨) وقال سالم بن وَابِصَةَ:

أحبُّ الفتى ينفي الفواحش سمْعُه   كأنَّ به عن كل فاحشة وَقْرَا
سليم دواعي الصدر، لا باسطاً أذىً   ولا مانعاً خيراً، ولا قائلاً هُجْرا

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

بعيدة مهوى القرط: إما لنوفل   أبوها، وإما عبد شمس وهاشم

(٢٠) وقال الشاعر يفتخر:

وما يَكُ فيّ من عيب فإني   جَبَانُ الكلب مهزول الفصيل

(٢١) وقال الشاعر:

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي   من البعد ما بيني وبين المصائب

(٢٢) وقال الشاعر:

فَلَسْنَا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنَا   ولكن على أقدامنا تقطر الدما

(٢٣) وقال الشاعر:

مطبَخُ داوُدَ في نظافته   أشْبَه شيء بعَرْش بلقيس
ثياب طَبَّاخه إذا اتَّسَخَتْ   أنْقَى بياضاً من القراطيس

(٢٤) وقال الشاعر يرثي رجلاً مات بعِلَّة في صدره:

ودَبَّتْ لهُ في مَوْطِنِ الحلم عِلَّةٌ   لها كالصِّلالِ الرُّقْش شرُّ دبيب



(٢٥) وقال أبو نواس في وصف الخمر:

ولـــمَّا شربناهـــا ودَبّ دبيبهـــا إلى موطـــن الأسرار قلـــت لها قفي

فصل

المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح:

أطبق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح؛ لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم، فهو كدعوى الشيء ببيِّنة، فإن وجود الملزوم يقتضي وجود اللازم، لامتناع انفكاك الملزوم عن لازمه.

الاستعارة أبلغ من التشبيه:

وأطبقوا أيضاً على أن الاستعارة أبلغ من التشبيه، لأنها نوع من المجاز، وقد علم أن المجاز أبلغ من الحقيقة.

وليس معنى كون المجاز والكناية أبلغ أن شيئاً منهما يوجب أن يحصل في الواقع زيادة في المعنى لا توجد في الحقيقة والتصريح، بل إن المراد أنه يفيد زيادةَ تأكيدٍ للإثبات، ويفهم من الاستعارة أن الوصف في المشبّه بالغ حد الكمال كما في المشبّه به، وليس بقاصر فيه كما يفهم من التشبيه؛ والمعنى لا يتغير حاله في نفسه بأن يعبّر عنه بعبارة أبلغ.

وهذا مراد الشيخ «عبد القاهر» بقوله: ليست مزية قولنا: (رأيت أسداً) على قولنا: (رأيت رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة) أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يُفِدْها الثاني، بل الفضيلة هي أن في الأول تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني. والله أعلم.

كمل الجزء الرابع من شرح السعد: بعد تنقيحه وتهذيبه وتفصيله، والحمد لله على جزيل نواله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وعلى أصحابه وأتباعه أجمعين.

فهرس الجزء الرابع

الموضوع	صفحة

تم الفهرس، والحمد لله أولاً وآخراً

❁ ❁ ❁